دور مدارس خراسان في تطور النهضة العلمية في العصر السلجوقي
(٤٢٩ ـ ٥٥٢ هـ / ١٠٢٧ ـ ١١٥٧م)

د. صلاح الدين على عاشور (*)

خراسان في التاريخ:

خراسان في الفارسية القديمة معناها " البلاد الشرقية " وكان هذا الاسم يطلق في القرون الوسطى بوجه عام على جميع الأقاليم التي تقع شرق الدولة الإسلامية[١]. وتمتد أهمية خراسان في التاريخ من الناحية السياسية بجذورها إلي ما قبل الفتح الإسلامي لبلاد فارس (إيران) حيث ارتبط اسم هذه الولاية سياسيا، واقتصاديا، وثقافيا عند الفرس ببلاد الشمس المشرقة المزدهرة[٢]. ويتمتع إقليم خراسان بموقع جغرافي ممتاز جعله معتدل المناخ ليس فيه مناطق شديدة الحرارة، ولا شديدة البرودة، هذا مع توافر تربة صالحة، وتجارة رائجة مما كان له أكبر الأثر في وفرة أسباب المعيشة، وإنجاب كوكبة من العلماء، والأدباء، شهد لهم بذلك المقدسي في تقاسيمه[٣]. كما وصفهم ياقوت[٤] بقوله:" هؤلاء من أهل الأدب والنظم والنثر الذين يفوت حصرهم ويعجز البليغ عن عدهم " وكانت خراسان قديما في مدلوها الواسع تضم كلا من "بلاد ما وراء النهر"[٥] ما عدا "سجستان"[٦]، ومعها "قوهستان"[٧] في الجنوب، إلا أن

(*)أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية اللغة العربية بالقاهرة ـ جامعة الأزهر

(١) كانت خراسان إحدى الأقاليم المزدهرة في العصور الوسطى، وهى اليوم تشمل القسم الغربي من أفغانستان. كي لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٣، ترجمة : بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة ط٢ بيروت ١٩٨٥م.

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج٢ ص٣٥٠ دار صادر بيروت ١٩٧٩ م.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٥٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م.

(٤) معجم البلدان : ج ٢ص ٣٥٤. كي لسترانج : بلدان الخلافة، ص ٤٢٤.

(٥) ما وراء النهر: لفظ استخدمه المؤرخون والجغرافيون المسلمون للتعبير عن المنطقة المحصورة بين نهري جيحون في الجنوب وسيحون في الشمال، وسكان تلك المنطقة من العنصر التركي. بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ص ٢، ٣. ترجمة أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.

حدودها في العصور الإسلامية صارت أكثر تحديدا، فأصبحت تشمل أربعة أقاليم كبري هي : " نيسابور"(٨)، "ومرو"(٩)، و"هراة "(١٠) و"بلخ"(١١). وبعد الفتح الإسلامي كانت عاصمة خراسان تنحصر في "مرو" ثم "بلخ"، وفي عصور الأمراء الطاهريين (٢٠٥ـ٢٩٥هـ/ ٨٢٠ـ٨٧٢م)(١٢) أصبحت "نيسابور" دار الإمارة الطاهرية. وفي العصر لصفاري(١٣) (٢٥٤ـ٢٩٠هـ/٨٦٧ـ٩٠٣م) كانت "خراسان" هي الصخرة التي

---

(٦) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة، واسم مدينتها "زرنج "وهي قريبة من هراة.معجم البلدان : ج ٣ص ١٩٠.

(٧) قوهستان : معناها موضع الجبال بالفارسية، وهي الجبال التي بين هراة، ونيسابور، وهي أكبر بلاد العجم، أحد أطرافها متصل بنواحي هراة. معجم البلدان : ج ٤ص ٤١٦.

(٨) نيسابور :مدينة عظيمة من أهم مدن خراسان، خرج منها من أئمة العلم من لا يحصى، النسبة إليها نيسابوري. ياقوت : معجم البلدان، ج ٥ ص ٣٣١.

(٩) مرو : يقال لها أيضاً "مرو الروز" و "مرو الشاهجان" وهى من أشهر مدن خراسان وقصبتها العظمى بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً وبينها وبين سرخس ثلاثون فرسخاً، والنسبة إليها مروزى ومرزوى. ياقوت : معجم البلدان ج٥، ص١١٢.

(١٠) هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان قال عنها ياقوت : " لم أر بخراسان عند كونى بها في سنة (٦٠٧ هـ/١٢١١م) مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها ؛ ياقوت : معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٦.

(١١) بلخ : من أجل مدن خراسان، وأكثرها خيرا، وأوسعها غلة، تحمل غلتها إلى جميع خراسان، وإلى خوارزم، ينسب إليها كثير من العلماء، والنسبة إليها بلخي. ياقوت : معجم البلدان، ج ١ ص ٤٧٩.

(١٢) الطاهريون : تنسب الإمارة الطاهرية إلي "طاهر بن الحسين" الفارسي الأصل الذي قاد جيوش المأمون خلال نزاعه مع أخيه الأمين، فقلده عدة وظائف مكافأة له، ولم يلبث أن ولاه على إقليم خراسان سنة (٢٠٥هـ/٨٢٠م) وأضاف إليه بعض ولايات المشرق الإسلامي، فاتخذ من نيسابور(حاضرة إقليم خراسان) عاصمة له، فكانت أول دولة من أصول فارسية تظفر باستقلال ذاتي عن الحكومة المركزية في بغداد.ابن خاوندشاه: روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفا، ص ٤٧،٤٨. ترجمة د/ أحمد عبد القادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب ط ١ القاهرة ١٩٨٨ م ـ محمود عرفة محمود: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق وعلاقاتها بالخلافة العباسية، ص ٦٨، دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٨م.

(١٣)الصفاريون: تنسب هذه الجماعة إلي "يعقوب بن الليث الصفار" الذي كان يعمل في صناعة الصفر(النحاس) وقد ظهرت إمارتهم في إقليم سجستان، والتي كانت في بداية أمرها تتكون من المتطوعين الذين أرادوا معاونة الخلافة العباسية ضد أعداءها من الخوارج وقطاع الطرق، ثم سيطر على حركة المتطوعة " يعقوب بن الليث الصفار " الذي

تحطمت عليها الآمال الصفارية في الاستيلاء على المشرق الإسلامي كله[١٤]، على الرغم من أن الصفاريين لم يتخذوا من خراسان مقرا لحكمهم، وفضلوا البقاء في سجستان مهد حركتهم، ومنشأ قادتهم، وبنوا سياستهم على تحويل خراسان ولاية ممولة لحكمهم في سجستان، مما أفقدها امتيازها السياسي في عصرهم[١٥]. ونتيجة لمعطيات تلك المنطقة السياسية آنذاك، كان طبيعيا أن يدخل إقليم خراسان في حوزة السامانيين[١٦] (٢٦١ـ٣٨٩هـ/ ٨٧٤ ـ٩٩٩م) المتطلعين إلى السيطرة والنفوذ، والذين أغرتهم إمكانات الإقليم الاقتصادية والبشرية على تثبيت سلطانهم[١٧]. ولكن الحقيقة أن خراسان بأهميتها السياسية سال عليها لعاب كثير من المغامرين الجدد في المنطقة للاستحواذ عليها، حتى أصبحت مطمعا لقوى سياسية جديدة أهمها الدولة

قويت شوكته، واستطاع أن يستولي على سجستان، ثم أخذ يتحرش بالإمارة الطاهرية، حتى تمكن من إسقاطها سنة(٢٥٩هـ/٨٧٢م). خليل السامرائي: تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي(١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ/٧٤٩ ـ ١٢٥٨ م)ص١١٩، طبع جامعة الموصل ١٩٨٨م.

(١٤) ساءت العلاقات بين الصفاريين، والخلافة العباسية وذلك عقب استيلاء "يعقوب بن الليث الصفار" على إقليم خراسان، على الرغم من تحذير الخليفة العباسي بعدم إقدامه على هذا العمل ـ وذلك للعلاقة القوية التي كانت تربطهم بالطاهريين ـ إلا أن يعقوب استسلم لأطماعه، ولم يستمع لصوت العقل، ودخل في صراع مع الخلافة مما عجل بنهايته، ونهاية دولته من بعده. للمزيد من التفاصيل أنظر، محمود عرفة : الدول الإسلامية المستقلة، ص ٢٥٣، ٢٥٥.

(١٥) فتحي أبو سيف: خراسان تاريخها السياسي من سقوط الطاهرين إلى بداية الغزنويين، ص ٨٥، مكتبة سعيد رأفت،ط١ ١٩٨٨ م.

(١٦)الساسانيون: تنسب هذه الجماعة إلي إحدى الأسر الفارسية التي ظهرت في المشرق الإسلامي، لاسيما في عهد الخليفة المأمون، حيث نالت حظوة كبيرة عنده، فولاهم بلاد ما وراء النهر.ومن أشهر حكام هذه الأسرة "إسماعيل بن أحمد الساماني" و" نوح بن نصر" وقد ظهر في عهد هذه الأسرة العديد من العلماء الأجلاء الذين خدموا الفكر الإسلامي. النرشخي : تاريخ بخاري، ص ١١٣، ترجمة أمين عبد المجيد بدوي، ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، ط٣ القاهرة ١٩٦٥م ـ أرمنيوس فامبري : تاريخ بخاري،ص٩٣، ترجمة : أحمد محمود الساداتي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة (د.ت).

(١٧) محمد سعد السيد عزب: الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي (٤٢٩ـ ٥٥٨هـ/ ١٠٣٧ـ١١٦٢م)،، ص ٥٥، ٥٦،شركة نوابغ الفكر،ط١ القاهرة ٢٠٠٩م.

الغزنوية[١٨]، التي بدأ حكامها يعملون على مد نفوذهم السياسي إلى خراسان باعتبارها من أهم الولايات السامانية[١٩]. ولما كان التغير السياسي قدرا تاريخيا حتمياً، وبخاصة في تلك المنطقة الحيوية، دخلت خراسان في حوزة الدولة السلجوقية سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) [٢٠]عقب معركة "سرخس"[٢١] الشهيرة، التي انتصر فيها الجيش السلجوقي على الغزنويين، فكان ذلك إيذانا بقيام دولتهم، حيث سار السلطان "طغرل بك" إلى نيسابور فدخلها، وجلس على عرش السلطان مسعود الغزنوي، ولقب نفسه بالسلطان المعظم ركن الدين والدنيا أبو طالب محمد، وأمر أن تضرب النقود باسمه[٢٢]. وقد بلغت خراسان أوج ازدهارها وتفوقها الثقافي في العصر السلجوقي، حيث اعتمدت الدولة السلجوقية على غنى هذا الإقليم اقتصاديا، وبشريا، مما جعل له الزعامة السياسية في منطقة المشرق الإسلامي، واستتبع ذلك زعامة ثقافية على جميع أقاليم المشرق، لاسيما بعد أن تحولت خراسان إلى مركز الثقل الثقافي بين الولايات الشرقية .

---

(١٨)الدولة الغزنوية :هي إحدى الدول الإسلامية التي قامت في شرق الدولة الإسلامية، ويرجع ظهور الغزنويين إلي " البتكين " كبير حجاب الأمير " عبد الملك بن نوح الساماني، وكان البتكين أحد الموالى الأتراك الذين اعتمد عليهم السامانيون في ضبط أمور دولتهم، فعلا شأنه وزاد طموحه حتى أصبح مقربا لرجال الدولة، مما أتاح له أن يتبوأ مناصب رفيعة في الدولة. لمزيد من التفاصيل أنظر : محمود عرفة محمود : الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص ٢٥٣، ٢٥٥.

(١٩) فتحي أبو سيف: خراسان تاريخها السياسي، ص ٧.

(٢٠)السلاجقة: يرجع أصل السلاجقة إلى الترك الذين كانوا يقيمون في الصحراء الواسعة التى تمتد من حدود الصين حتى شواطئ بحر قزوين، وقد كثرت هجرتهم إلى المناطق الإسلامية في إيران وقت انهيار الدولة السامانية حيث المراعى الوفيرة، وقد عرف السلاجقة بهذه التسمية نسبة إلى زعيمهم " سلجوق بن دقاق " الذى جمع شملهم ووحدهم تحت زعامته وخضعوا لحكم أبنائه وأحفاده من بعده، ومن أشهر ملوكهم " طغرل بك " و " ألب أرسلان " و "ملك شاه بن ألب أرسلان" "وسنجر بن ملكشاه". الحسينى : زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، ص٢٣، تحقيق د/ محمد نور الدين، دار إقرأ ط١ بيروت ١٩٨٥.

(٢١) سرخس: مدينة كبيرة من أشهر مدن خراسان وتقع في وسط الطريق بين نيسابور ومرو.ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

(٢٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٦٨٥،، ترجمه إلي العربية د/ يحيي الخشاب، وصادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٥٦ م ــ الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ص ١٥٨ ترجمة د/ إبراهيم أمين الشواربى وزميلاه دار القلم القاهرة ١٩٦٠م .

وثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام أشار إليها أحد الباحثين[٢٣]، وهى: ذلك التناقض الذي وقع فيه كثير من المؤرخين القدامي، والمحدثين، عندما اعتبروا أن نمو الحركات القومية ــ المتمثل في تجزأ العالم الإسلامي إلى كيانات سياسية متعددة ــ كان نوعا من الضعف أصاب العالم الإسلامي، والذي أدى في النهاية إلي انهياره، متأثرين في ذلك بالأفكار السائدة في عصرهم، والتي كانت ترى عدم استفادة القوميات من هذا الضعف، وهم يتصورون أن التمسك بالوحدة السياسية هو العلاج الناجح للإصلاح السياسي للخلافة العباسية، بما يعتنقونه من فكر تقليدي ساد كتابات هؤلاء المؤرخين، ولم يلتزموا الحيدة التاريخية، إذ كانوا يتمنون عودة الخلافة الإسلامية إلي سابق عهدها وحدة سياسية واحدة، كما كان عليه الحال أيام الخلافة الراشدة، والدولة الأموية. ومع ذلك نجدهم يقعون في تناقض عجيب، وآية ذلك أنهم يذكرون مثلا: فضل الطاهريين، والسامانيين، والغزنويين في حماية الثغور الشرقية، وحين يتحدثون عن التفكك يذكرون أن الحركة الثقافية الإسلامية أفادت من هذا الوضع، الذي كان له مردود إيجابي من الناحية العلمية، واعتبروه نوعا من الحيوية المتدفقة التي دبت في أرجاء العالم الإسلامي، وأوجد نهضة علمية عارمة، وانعكس ذلك في ظهور مراكز علمية في:" بخاري " و " سمرقند " و " خراسان " و " أصفهان " و" القاهرة "و" القيروان " و " قرطبة " وغيرها، نافست بغداد، بل وتفوقت عليها في بعض الأحيان.

وعلى أية حال فإن الفتح السلجوقي لمنطقة خراسان لم يكن حدثا سياسيا، وحربيا فحسب، بل إن هذا الفتح قد تبلور في شكله إلى حدث علمي وثقافي واسع، فقد اختطت الحضارة الإسلامية لنفسها في بلدان المشرق جداول ظلت تتدفق في كل ركن من أركانها، فانتشرت تلك الجداول في كل من: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وأصفهان، والري، وبخارى، وسمرقند، وخوارزم، وطبرستان، وهمذان، وجرجان. فاتقدت فيها مشاعل العلم، وأنارت تلك المدن، وحملت كل واحدة مشعل الحضارة والثقافة والنور في المشرق، وأضحت مركز إشعاع للعلوم والثقافة، وموطن رحل العلماء، وموئل الساعين من طلاب العلم ورواد الثقافة والباحثين عن المعرفة، وأخرجت تلك المدن الكثير من العلماء النابهين، التي تفيض بهم المصادر لتدون أعمالهم الجليلة في خدمة العلم والدين. والواقع أن الطبقة العليا في المجتمع السلجوقي،وكبار رجال الدولة اتخذوا من خراسان مقرا لإقامتهم، فيذكر الراوندي[٢٤] أن قصور السلطان سنجر كانت بمدينة "مرو"، وبجوارها قصور أمراء السلاجقة،

---

(٢٣) حسن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٣٠٢ دار الفكر العربي، ط ٣، القاهرة، ١٩٧٧م.

(٢٤) راحة الصدور : ص ٢٦٠.

وكانت في غاية من الروعة والفخامة والإبداع. بيد أن النهضة العلمية في المشرق الإسلامي (إيران) اقترنت إلى حد كبير بأسماء العديد من المدن التي قامت بدور بارز في إنعاش الحياة العلمية، وخاصة في العصر السلجوقي، وكان طبيعيا ألا تصل الحياة العلمية إلى هذا الطور من التقدم إلا بفضل تشجيع السلاجقة، واهتمامهم بتلك المراكز العلمية وتقديرهم لرجالها.

هذه إطلالة سريعة على إقليم خراسان وملامحه السياسية والجغرافية عبر التاريخ، لأن البيئة في أي مجتمع تشكل ــ كما هو معروف ــ حياة البشر الذين يعيشون في هذا المجتمع، وتؤثر دائما على تفوقهم الذهني والفكري، فالإنسان دائما ابن بيئته، ولذلك لا نعجب إذا رأينا أن خراسان بثقلها السياسي والثقافي، كانت تهفو إليها نفوس الطلاب والعلماء من شتي بقاع الأرض على اختلاف تخصصاتهم. ومن المسلم به، في العصر الإسلامي، أنه كان لا ينبغ أحد في علم من العلوم إلا إذا كان متمكنا في علوم شتى، ذلك لشدة الارتباط بين العلوم آنذاك، ولم يكن للتخصص الذي ساد بعد ذلك مكان، بل إن الطابع الموسوعي هو الذي كان سائدا.

النهضة الثقافية في إقليم خراسان

استأثرت خراسان باهتمام السلاجقة منذ أن وطئت أقدامهم هذا الإقليم، انطلاقا من عدة معطيات وضعت هذا الإقليم على مستوي التكافؤ مع المشرق كله، إذ تعود أهميته إلى طابعه المركزي، فهو يشكل قلب المشرق، ولحمته وسداه، نظرا لأهميته الاستراتيجية، والاقتصادية، فإقليم خراسان دائما كان نواة لدول أهلها أن تلعب دورا مهما في المنطقة، كما كان الإقليم متاخما لمناطق حضارية عريقة مثل: "خوارزم"، و"بلاد ما وراء النهر" و"أصفهان" و"طبرستان" مما جعله مفتاح النهضة الثقافية للمشرق، وسر قوته، ونهوضه.

وكان طبيعيا أن يعمد السلاجقة إلى اغتنام الفرصة، في تلك التربة الطيبة، التي زخرت بالعلماء والأدباء على مر العصور، لاسيما أنهم ورثة نهضة علمية زاهرة في هذا الإقليم، فكان للتشجيع المادي والأدبي الذي قدمه السلاجقة لهؤلاء العلماء أثر كبير في ازدهار الثقافة في خراسان، إذ كانوا ينفقون المبالغ الطائلة على العلماء، ويقيمون الندوات العلمية والأدبية، والمباريات الشعرية، ويمنحون الجوائز للمبرزين.

كما يمكننا أن نعزو النهضة الثقافية التي عمت إقليم خراسان، في العصر السلجوقي، إلى تعاقب الثقافات المختلفة عليه، بتعاقب الدول من: صفاريين وسامانيين وبويهيين، والذين أغرموا بالثقافة ونشر العلوم، فكان تنوع الثقافات في هذا الإقليم من الأسباب المهمة في وجود حياة علمية وأدبية عالية. كل هذا كان أساسا صالحا بنى عليه صرح النهضة الفكرية والعلمية الشاملة في العصر السلجوقي. ولقد تأثرت النهضة العلمية في خراسان بالعناصر المكونة للأمة الإسلامية والأجناس الداخلة تحت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سلطان الدولة من: فرس وترك وعرب والأقليات الأخرى، حيث قدم كل جنس من هؤلاء ذخائر ما لديه من علوم وفنون، لبناء الصرح الثقافي الإسلامي، مما جعل جغرافيا كالمقدسي [٢٥] يصف الإقليم بقوله: "هو أجل الأقاليم وأكثرها أجلّة وعلماء، ومعدن الخير ومستقر العلم وركن الإسلام وحصنة الأعظم" ويصفه في موضع آخر بقوله: "فيه يبلغ الفقهاء درجات الملوك" [٢٦]. والواقع أن العصر السلجوقي هو العصر الذي انصهرت في بوتقته جميع التيارات والثقافات الإسلامية، مستفيدًا من التراث العلمي الهائل، الذي خلفه علماء العرب والمسلمين في شتى الآداب والفنون، فتفجرت ينابيع الثقافة في العلوم العربية والعقلية وأثمرت تلك العلوم والفنون بفضل تعهد السلاطين والخلفاء لها بالرعاية، فقد أقاموا المساجد والمدارس ودور العلم والمكتبات، وجعلوا منها مجامع علمية تدور فيها المناقشات والمطارحات، حتى أصبح التهافت على نيل العلم واحتواء المعرفة ظاهرة ملموسة في ذلك العصر، واحتشد فيه طائفة من أجل العلماء والأدباء والفقهاء، طبقت شهرتهم الآفاق، وامتازوا بسعة الأفق، وضخامة الإنتاج، وخلفوا لنا ثروة علمية وأدبية في مختلف فروع العلوم الإسلامية والإنسانية.

ازدهار الحركة المدرسية بخراسان في العصر السلجوقي

ازدهرت الحركة المدرسية في العصر السلجوقي ازدهارا ملحوظا، وأصبحت خراسان محوراً لنشاط علمي واسع، ويرجع ذلك إلى ولع سلاطين السلاجقة بالعلم وأهله، محاكين في ذلك البويهيين وحبهم للعلم والعلماء، إذ أحاط السلاجقة أنفسهم بالعلماء والأدباء والشعراء من العرب والفرس، كان لهم نصيب من عنايتهم وتشجيعهم، وكان لحب سلاطين السلاجقة للعلم أبعد الأثر في اختلاط الإيرانيين بالعراقيين، وامتزاج حضارة كل من البلدين، فأصبحا يمثلان صورة صادقة للحضارة الإسلامية.

فقد كان السلطان طغرل بك (٤٢٩-٤٥٥هـ/١٠٣٧-١٠٦٣م) على ما وصفه المؤرخون [٢٧] مسلما يحب أهل السنة ويميل إليهم، ويحرص على أداء الفرائض والتقرب إلى أئمة الدين، ويبني المساجد، ويقول: "أستحي من الله تعالى أن

---

(٢٥) أحسن التقاسيم: ص٢١٢

(٢٦) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢١٢

(٢٧) العماد الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق. ص ٢٨ (اختصار الفتح بن علي البنداري). دار الآفاق الجديدة. ط٣. بيروت ١٩٨٠م.

أبني لي داراً ولا أبني إلى جانبها مسجداً"، كما كان شديد التقرب إلى العلماء مكرماً إياهم [٢٨].

وعلى الرغم من أن السلاجقة أتراك، وكان من المنتظر أن تروج اللغة التركية في عهدهم، لأنهم أصحاب السيادة والسلطان، إلا أنه حدث عكس ذلك، حيث راجت اللغة والثقافة العربية وكذلك الفارسية في ذلك العصر، وأصبحتا لغتي الكتابة والأدب، ويرجع ذلك إلى اتخاذ السلاجقة مدنا فارسية عواصم لهم أقاموا فيها [٢٩]. ويمتاز عصر السلطان سنجر بن ملكشاه (٥١١-٥٥٢هـ/١١١٧-١١٥٧م) - الذي اتخذ من مدينة مرو عاصمة لمملكته - من الناحية العلمية والأدبية بكثير من البهاء، إذ يعتبر عصره من العصور الهامة في تاريخ الثقافة في الدولة السلجوقية، ويتجلى ذلك في سياسته الرامية إلى توفير كل الرعاية للعلماء والأدباء والشعراء، فزخر بلاطه بكثير منهم، تركوا تراثا ضخما من المصنفات في كل علم وفن.

والواقع أنه، في عصر السلطان سنجر أصبحت اللغة الفارسية هي لغة الكتابة والأدب، فقد زاحمت الفارسية العربية، وخاصة في مدن خراسان وما وراء النهر، التي تعد من أهم مراكز الثقافة في المشرق الإسلامي إبان ذلك العصر، وبرز كثير من العلماء في شتى فروع المعرفة، يثرون الحياة العلمية بتراثهم، بفضل اهتمام وتشجيع السلطان سنجر لهم، وأصبح التأليف بالفارسية والعربية معا، سمة من سمات ذلك العصر، وصارت خراسان في عصره مقصد كثير من العلماء، ومنهلا للعلوم والمعرفة [٣٠]. كما أصبحت مدن خراسان في عهد سنجر من أكبر مراكز الثقافة، وذات كيان ثقافي مستقل، وغدت تتمتع باستقلال سياسي، لذلك نلحظ تغلب الفارسية على العربية،

([٢٨]) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج٨ ص١١٦، دائرة المعارف العثمانية ط١ حيد أباد ١٣٥٣هـ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ج٨ ص ٣٩. دار الفكر. بيروت، ١٩٧٨م.

([٢٩]) اتخذ سلاطين السلاجقة حواضر خاصة بهم في بلاد المشرق الخاضعة لسلطانهم ولم يتخذوا من بغداد مقرا لإقامتهم كما فعل البويهيون لكنهم أرسلوا نوابا لهم ليراقبوا نشاط الخلفاء العباسيين ووزرائهم، وصاروا يصرفون شؤون الحكم من عاصمتهم فاتخذ طغرل بك أول سلاطين السلاجقة في أول الأمر مدينة "الري" لتكون حاضرة ملكه ثم جعل "تيسابور" واتخذ ألب أرسلان مدينة "مرو" واتخذ ملكشاه مدينة "أصفهان" التي كانت أحب المدن إليه بينما اتخذ السلطان سنجر مدينة "مرو" عاصمة لدولته، ومنذ أن تولى السلطان محمد بن محمود أصبحت "همذان" عاصمة للسلاجقة إلى آخر أيامهم. محمود إدريس: رسوم السلاجقة ص٤٥.

([٣٠]) محمود إدريس: السلطان سنجر السلجوقي ص١٢٤، المطبعة التجارة الحديثة،القاهرة ١٩٨٨م.

إذ اهتم بالفارسية سائر أفراد المجتمع، وظهرت مصنفات كثيرة في العلوم الدينية واللغوية، وتم خلال عصره تأليف عدد من أمهات الكتب العربية والفارسية، ومن أشهر المؤلفات الفارسية كتاب: "ذخيرة خوارزمشاهي" وهو كتاب مفصل باللغة الفارسية في جميع فروع علم الطب، ألفه زين الدين أبو إبراهيم الجرجاني المتوفى سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م)[٣١] ومقامات القاضي حميد الدين أبي بكر البلخي المتوفي سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م)، [٣٢] وكتاب "جهار مقالة" أو "المقالات الأربع" التي ألفها نظامي عروضي السمرقندي المتوفي سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) وهو من أقدم الكتب الفارسية التي عالجت جوانب الحياة الأدبية والعلمية في الجانب الشرقي من العالم الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن السادس الهجري[٣٣].

كذلك زخر عهد سنجر بكثير من الأدباء والشعراء بفضل تشجيعه لهم، ودعوتهم إلى بلاطه، وجعلهم من جلسائه، إلى درجة أنه يمكن تعداد أكثر من خمسين شاعرا منهم، غير الوزراء، والأمراء، والأطباء، ومن أشهرهم: "معزى" [٣٤] الذي لقب بالأمير معزى، ويعد من أحسن شعراء الفرس وأجلهم إنشاداً، وقد بلغ من تقدير السلطان سنجر للمعزى أنه كان يناديه بأبيه، ويملأ فمه بالجواهر حين يستحسن أشعاره، ومنحه لقب أمير الشعراء[٣٥].

وقد خدم وزراء السلاجقة الحياة العلمية خدمات جليلة ويرجع الفضل في ذلك إلى سلاطينهم الذين كانوا لا يستوزرون إلا من بلغ مرتبة عالية من الثقافة والمعرفة، وخير دليل على ذلك أن السلطان طغرل بك – أول سلطان سلجوقي – عندما أراد أن يتخذ وزيرا، حرص على أن يكون من رجال العلم والأدب، وأن يكون متقنا للغتين العربية والفارسية، فلما علم أن عميد الملك الكندري على دراية بهما ؛ استدعاه وولاه

---

(٣١)العروضي السمرقندي: جهار مقالة، ص ١٦٦، ترجمة : عبد الوهاب عزام ويحيي الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١ القاهرة ١٩٤٩ م.

(٣٢)السابق: جهار مقالة، ص ٩٩.

(٣٣) براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي، ص ٤٢٥، ترجمة د/ إبراهيم أمين الشواربي. مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٤م.

(٣٤) معزى: هو محمد بن عبد الملك البرهاني المعروف بمعزى النيسابوري من مشاهير شعراء عصره امتدح السلطان ملكشاه والسلطان سنجر ووزرائهما ولكن نهاية المعزى كانت حزينة فقد قتله سهم انفلت خطأ من قوس سنجر عندما كان يقوم بالرماية وذلك سنة ٥٤٢هـ.رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي ص٨٩.

(٣٥) محمد غنيمي هلال: مختارات من الشعر الفارسي ص ١٤٧، ١٤٨.

وزارته. وكان الكندري معروفاً بالذكاء والفراسة، ومشهورًا بالفضل والكياسة، وكانت له أياد بيضاء في الكتابة والفصاحة[٣٦].

وكان مجلس الوزير نظام الملك [٣٧] عامرا بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الدين والتدين، حتى كانوا يشغلونه عن أمور الدولة وأعمالها، فقال له بعض خاصته: هذه الطائفة من العلماء قد بسطتهم في مجلسك حتى شغلوك عن مصالح الرعية ليلا ونهارا، فقال: "هذه الطائفة أركان الإسلام وهم جمال الدنيا والآخرة ولو أجلست كلا منهم على رأسي لاستقللت لهم ذلك[٣٨].

وتعد المدارس النظامية، التي أسسها الوزير نظام الملك في خراسان، من أول المدارس العلمية المنظمة في الإسلام، بل وذهب البعض[٣٩] إلى أن التعليم الجامعي بأسلوبه الذي نعهده اليوم، عرفته إيران منذ القرن الخامس الهجري، فكانت صاحبة ابتكار هذا النوع من الدراسة، الذي نقله عنها الأوربيون بعد ذلك. ويصف العماد الأصفهاني[٤٠] نظام الملك، فيقول: "ولم يزل بابه مجمع الفضلاء، وملجأ العلماء، ومن رآه مستحقا لرفع قدره رفعه وأعلاه، ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه، ورتب له ما يكفيه من جدواه، حتى ينقطع إلى إفادة العلم ونشره، وتدريس الفضل وذكره، وربما سيره إلى إقليم خال من العلم ليحلى به عاطله، ويحيى به حقه، ويميت باطله". وقد أقام الوزير نظام الملك الكثير من المؤسسات العلمية في سائر أقطار وأطراف البلاد في فارس والعراق وخراسان، وأوقف على هذه المؤسسات مزارع وضياعاً عامرة[٤١]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٣٦) خواندمير: دستور الوزراء، ص١٣٨، ترجمة : د/ حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠ م ــ الراوندي: راحة الصدور ص ١٨٦، ١٨٧

(٣٧) نظام الملك: هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي ولد عام (٤٠٨هـ/ ١٠١٧م) بقرية من نواحي طوس عمل في بداية حياته في دواوين الدولة الغزنوية بخراسان فلما أفل نجمهم انتقل إلى خدمة السلاجقة الذين ورثوا الغزنويين بخراسان ثم لم يلبث أن اتخذه ألب أرسلان وزيرا له فلما قتل ألب أرسلان عام (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) اتخذ ملكشاه بن ألب أرسلان وزيرا له إلى أن قتل عام (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) على يد أتباع الحسن الصباح.ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص٦٤. الحسيني: الزبدة، ص١٤٠-١٤٥.

(٣٨) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٦٥ ــ خواندمير: دستور الوزراء ص٢٤٨.

(٣٩) صادق نشأت: صفحات عن إيران ص ١٤٢، مطبعة مخيمر، القاهرة ١٩٦٠م.

(٤٠) آل سلجوق: ص٥٩.

(٤١) يحيى الخشاب: نظام الملك المدارس النظامية، ص ٥٥٦، ٥٦٧، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس ١٩٧٥م.

ولا شك أنها أصبحت كما تقول الآية الكريمة: {وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض} [٤٢].

وتفوق على جميع العظماء والفضلاء، وأهل الدولة والسلطان مدة ثلاثين عاما، خلال سلطنة السلطان ألب أرسلان والسلطان ملكشاه، لجمعه لأسباب الفضل والرفعة، وأدوات العلم والمعرفة، وظلت مدارسه تؤدي دورها العلمي والثقافي، وخدمة المعرفة، حتى بعد انقضاء العصر السلجوقي[٤٣]. ويذكر عن نظام الملك أنه كان كثير الإحسان على أهل العلم، حتى إنه رتب رواتب ثابتة تصرف لهم بانتظام، بحيث كان رزقه يجرى على اثني عشر ألف عالم من فقيه وغيره[٤٤]، كما كان يحوط العلماء برعايته وتأييده، فيذكر المؤرخون [٤٥] "إنه كان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري[٤٦]وأبو المعالي الجويني[٤٧] يقوم ويجلسهما، وإذا دخل عليه أبو علي الفارمذي قام وأجلسه مكانه وجلس بين يديه". وتذكر الروايات[٤٨]أن تاج الملك أبا الغنائم، صاحب خزانة السلطان ملكشاه، نقم على الوزير نظام الملك، فوشى به عند

([٤٢]) سورة الرعد: آية ١٧.

([٤٣])خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٤٨، ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص٦٦، ٦٧.

([٤٤])ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٢١. مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨م.

([٤٥])ابن الجوزي: المنتظم ج٩، ص٦٦، السبكي: طبقات الشافعية ج٣، ص١٣٧.

([٤٦])أبو القاسم القشيري: هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري القشيري الفقيه الشافعي شيخ خراسان في عصره كان علامة في الفقه والحديث والتفسير والأصول والأدب وعلم التصوف وكان ثقة حسن الوعظ وله تصانيف مشهورة منها "الرسالة القشيرية" و"التيسير في علم التفسير" وتوفي سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م). ابن الجوزي: المنتظم، ج٨ ص٢٨٠.ابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص٢٧٤.

([٤٧]) أبو المعالي الجويني: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي الملقب بإمام الحرمين أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق، المجمع على إمامته المتفق على غزارة علمه وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والأدب وهو من أهل نيسابور رحل إلى بغداد ولقي بها جماعة من العلماء وذهب إلى الحجاز وجاور بمكة أربع سنين ولذا قيل له "إمام الحرمين" ثم عاد إلى نيسابور فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها وحضر دروسه الأكابر والأئمة وله مصنفات كثيرة منها "العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية" و"الإرشاد" و"الورقات" وغير ذلك وتوفي الجويني سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م).

ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص ٢٧٨، السبكي: طبقات الشافعي ج٣، ص ٢٤٩.

([٤٨]) الحسيني: زبدة التواريخ ص ١٤١، ١٤٢.

السلطان قائلا: "إنه ينفق في كل سنة على الفقهاء والصوفية والقراء ثلاثمائة ألف دينار، ولو جيش بها جيشا لطعن باب القسطنطينية"، فاستحضر السلطان ملكشاه نظام الملك وعاتبه، وطلب منه أن يبرر تصرفاته، فأجابه: "إنك تنفق على الجيوش المحاربة كل سنة أضعاف هذا المال مع أن أقواهم وأرماهم لا تبلغ رميته ميلا، ولا يضرب سيفه إلا ما قرب منه، وأنا أجيش لك بهذا المال جيشاً تصل من دعائهم سهام إلى العرش لا يحجبها شيء عن الله"، فبكى السلطان وقال له: "استكثر من هذا الجيش والأموال مبذولة لك، والدنيا بين يديك"[٤٩]. وقد تضمنت كتب التراجم والتاريخ، والأدب والطبقات، معلومات مفصلة عن العلماء الذين اختصهم نظام الملك برعايته، واستعان بهم في تولي مهنة التدريس في مدارس النظامية، منهم الإمام حجة الإسلام الغزالي أكبر فقهاء الإسلام في عصره.

وكان نظام الملك أينما وجد عالما متميزا، يتبوأ منزلة مرموقة بين العلماء، بنى له مدرسة، وأوكل إليه التدريس بها، والقيام على شؤونها. فيذكر ابن الأثير[٥٠] أن العالم الجليل أبا بكر بن ثابت الخجندي[٥١] سمعه نظام الملك وهو يعظ بمرو، فأعجب به وعرف محله من الفقه والعلم، فحمله إلى أصفهان، وعينه مدرسا بمدرستها النظامية فنال جاها عريضا، كما اهتم نظام الملك بأبي المظفر السمعاني[٥٢] ورفع من قدره، وأناط به مهمة التدريس بمدرسته النظامية بمرو، ووكل له جميع شئونها [٥٣]، كما أن نظامية نيسابور قد بنيت برسم إمام الحرمين أبي المعالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٤٩) السابق: زبدة التواريخ ص١٤٢.

(٥٠) الكامل في التاريخ ج٨ ص٢١٩

(٥١) أبو بكر الخجندي: محمد بن ثابت بن علي أبو بكر الخجندي نزيل أصفهان وأصل بيت الخجندي من مدينة خجندة بما وراء النهر، وهو إمام غزير الفضل، حسن السيرة، تفقه فبرع في الفقه حتى صار من جملة رؤساء الأئمة وتخرج به وبكلامه جماعة من أهل العلم وانتشر علمه في الآفاق، وولاه نظام الملك مدرسته التي بناها بأصفهان وتوفي سنة (٤٨٣هـ/١٠٩٠م).الصيريفيني:المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور،ص٦٨، ٦٩.

(٥٢) أبو المظفر السمعاني: نصور بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله التميمي الإمام الجليل العالم الزاهد أحد أئمة الدين أبو المظفر بن الإمام أبي منصور المعروف بالسمعاني كان الإمام أبو منصور من أئمة الحنفية ثم صار إلى مذهب الشافعي،وكان إمام عصره بلا مدافعة وصار إمام الشافعية بعد ذلك يدرس ويفتي ويصنف في مذهب الشافعي،وتوفي سنة(٤٨٩هـ/١٠٩٥م).اللكنوي:الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص١٧٣،تحقيق السيد محمد بدر الدين مطبعة السعادة،ط١ القاهرة ١٣٢٤هـ

(٥٣) اللكنوي: الفوائد البهية في تارجم الحنفية ص١٧٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٣ ص٢١٢.

الجويني، الذي ظل يدرس بها ثلاثين سنة إلى حين وفاته [٥٤]. وكان الوزير نظام الملك على الجملة يحوط هؤلاء العلماء برعايته، ويمده بتأييده، حتى تبوؤا منزلة رفيعة في البلاد التي حلوا بها، وأصبح يشار إليهم بالبنان.

وقد تمكن نظام الملك أن يجذب إلى جانبه عطف وتأييد أعلام العلماء في جميع المراكز المهمة، التي امتد إليها سلطان السلاجقة فتحول كبار العلماء إلى مدرسين في مختلف المدن، حتى راجت سوق العلم في أيامه، وظل العلماء في عهده مرفوعي الهامة.

وثمة حقيقة تاريخية ظاهرة وجدت في المجتمع الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وهي: أنه قبل ظهور السلاجقة كان يسود جو من التعقيد الذي أثر على الفكر الديني، وبخاصة في منطقة خراسان التي ظهرت فيها قوى متصارعة، ومتناقضة فيما بينها من أجل البقاء، أو السيطرة، وبرزت مشاعر الشك والريبة المتبادلة بين المذاهب الدينية، مما سبب تنافرها، وحال دون تآلفها وتفاهمها [٥٥].

كان المذهب الشيعي قد انتصر في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وقامت دولتان شيعيتان كبيرتان في طرفي العالم الإسلامي الشرقي والغربي، أصبحت السيادة والسلطان لهما، فالدولة الفاطمية في الغرب، وتضم إليها بلاد المغرب ومصر واليمن والحجاز والشام، والدولة البويهية في الشرق، ولها السيادة على إيران والعراق قلب الدولة الإسلامية نفسها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يلبث أن حدث رد فعل قوي في مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وبدأ المذهب السني يسود من جديد، بعد أن ضعفت الدولتان الفاطمية والبويهية بظهور دولة سنية كبيرة في المشرق الإسلامي ألا وهي:" الدولة السلجوقية "، والتي كان هدفها الرئيس القضاء على الدول والمذاهب الشيعية في كل مكان، بل وكان جل اهتمام سلاطينها المحافظة على المذهب السني وذيوعه، ويرون ضرورة التخلص من كل الحركات المناوئة له في العالم الإسلامي، وإعادة هيبة الخلافة الإسلامية من جديد على أساس متين.

ويلاحظ أنه حين ظهر السلاجقة ؛ كان المذهب السني مضيقا عليه، سواء في داخل الدولة العباسية أو في خارجها، ففي الداخل كان يسيطر على الحكم "بنو بويه"

---

(٥٤) ابن عساكر: تبين كذب المفتري ص٢٧٨، ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية ج٣ ص٣٥٨.

(٥٥) محمد سهيل طقوش: تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق (٤٢٩ـ٥٩٠هـ/ ١٠٣٨ـ١١٩٤) ص ٢٣، دار النفائس ط ١ بيروت ٢٠١٠ م.

الشيعة، الذين ظلوا جاثمين على صدر الخلافة العباسية ما يزيد على قرن من الزمان، أما في الخارج فكانت مصر والشام والحجاز والمغرب واليمن بحكمها الفاطميون، الذين لم يكتفوا باتخاذ التشيع مذهبا رسميا داخل دولتهم، بل عملوا على بث دعاتهم في سائر أنحاء الدولة العباسية، لاسيما في المشرق الإسلامي، من أجل القضاء على دولة السلاجقة (٥٦).

وكان السلاجقة متحمسين للمذهب السني، فتصدوا للدفاع عنه خاصة، وعن الإسلام عامة، وعملوا على تحقيق ذلك بشتى الوسائل، سواء بالقوة العسكرية، أم بالتعليم ونشر المعرفة. والواقع أن العصر السلجوقي يمثل، من الناحية العلمية، ثورة الفكر السني ضد تيارات الفكر الشيعي، والتصدي لها بقوة، حتى خفت صوت الشيعة، وأصبح أمرهم إلى زوال.

كما كان للعلماء المنتمين إلى المذاهب الأربعة دور عظيم في تنشيط الحركة الفكرية، في إقليم خراسان في العصر السلجوقي تمثل في: إنشاء العديد من المدارس الشافعية، والحنفية، والحنبلية، فكان لكل مذهب مدارسه المعروفة. وكان رجال الأمة، الحريصون على مصالح الإسلام، جادين في العمل على دعم النشاط العلمي والثقافي، وإشاعة العلوم الشرعية، وتبني استخدام المنطق والجدل وعلم الكلام للدفاع عن عقيدة أهل السلف. وقد أدي ذلك كله إلي انتعاش علمي هائل تمثل فيما ظهر من مؤلفات علمية مختلفة للدفاع عن العقيدة، وشرح أصولها، وأكبر دليل على ذلك تلك المؤلفات الضخمة لتي خلفها علماء المذاهب المختلفة (٥٧).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت خراسان في منتصف القرن الخامس الهجرى قد تنازعت فيها قوتان مهمتان هما: الحنفية، والشافعية، إلا أن شوكة الشافعية بخراسان عامة كانت قد قويت بسبب اهتمام وزراء السلاجقة الشافعية بالناحية العلمية، وكان على رأسهم الوزير السلجوقى نظام الملك الطوسى، الذي بني عدة مدارس عرفت بالنظاميات في

---

(٥٦) قام الفاطميون بمحاولات واسعة لبث الدعوة إلى مذهبهم، وبدأ نشاطهم واضحا في المشرق، وبخاصة منذ بداية القرن الرابع الهجري حتى "الرودكي" شاعر البلاط السامانى يتغنى بالمذهب الفاطمي، ويعلن صراحة تامة محبته، وإخلاصه، للخلفاء الفاطميين الشيعيين. ولم يلبث أن فشا المذهب في خراسان حتى كان يعتنقه الأمير "نصر بن أحمد السامانى" المتوفي سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) فغضب عليه علماء السنة هناك، وأفتوا بتكفيره، وحثوا الجند على أن ينفضوا من حوله، إذ لم يكن من السهل عليهم أن يقبلوا حكاما يجهرون بتشيعهم، أو يدعون إلى التشيع، حتى أجبروه على التخلي عن العرش. بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٠٤، عبد المجيد أبو الفتوح بدوي: تاريخ المذهب السني ص١٠٢.

(٥٧) محمد سعد عزب: الحياة الفكرية في إقليم خراسان، ص ٩٦.

جميع أنحاء خراسان، في نيسابور، ومرو، وهراة وبلخ. وكان نظام الملك قد جعل في هذه المدارس وقفاً على المذهب الشافعي(٥٨).

وقد عمل نظام الملك ــ في السنوات العشر التي وزر فيها لألب أرسلان، والعشرين سنة التي عمل فيها مع ملكشاه ــ على جعل المذهب السني مذهبا عاما للمسلمين، عن طريق إنشاء المؤسسات التعليمية في جميع أرجاء السلطنة، كي تعمل على نشر العلم، ومحاربة الفكر الشيعي حربا لا هوادة فيها، وإقامة الوحدة على أساس متين، وجعل المدارس النظامية ــ التي جد في إنشائها ــ تضاهي أزهر الفاطميين، وتقوم بنشر الدعوة للمذهب السني، ردًا على تحدي الدعوة الفاطمية المنظمة (٥٩).كان الحدث العلمي الكبير في عهد السلاجقة، هو: تأسيس المدارس النظامية، ويذكر القزويني(٦٠): أن إنشاء نظام الملك لهذه المدارس كان بتكليف من السلطان "ألب أرسلان"، فقد دخل يوما مدينة نيسابور، فرأى جمعًا من الفقهاء وطلاب العلم على باب أحد المساجد، وهم في ثياب رثة، فلم يلتفتوا إليه عندما مر بهم، فسأل وزيره عن ذلك، فقال: "هؤلاء طلبة العلم، وهم أشرف الناس نفسًا، ولا حظ لهم من الدنيا، ويشهد زيهم على فقرهم" فلان قلب السلطان لهم، فاستأذنه نظام الملك في بناء أماكن لهم، ليمارسوا بها العلم، وإجراء الأرزاق عليهم، ليتفرغوا لطلب المعرفة (٦١).

ولم يلبث أن أقام الوزير نظام الملك عدداً كبيراً من المدارس، وبخاصة في خراسان، نظرا لأهميتها السياسية، والعلمية، والدينية، وألحق بها مكتبات نفيسة، لينتفع بها الطلبة والعلماء في تحصيل العلم والمعرفة (٦٢).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والواقع أن المدارس التي أنشأها نظام الملك، لم تكن هي بداية ظهور المدارس في العالم الإسلامي، ولم تكن من مستحدثات القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) بل كانت من منشآت القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وأن نيسابور كانت مهدًا للمعاهد العلمية، وأن أول مدرسة بنيت بها كانت لأبي إسحاق الإسفراييني(٦٣).

---

(٥٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ح٣ ص٢١١.
(٥٩) يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية ص٥٥٧.
(٦٠) آثار البلاد: ص ٤١٢.
(٦١) محمد مسفر الزهراني: نظام الوزارة في الدولة العباسية ص ١٩٠.
(٦٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص٦٤، السبكي: طبقات الشافعية، ج٣ ص١٣٧.
(٦٣) أبو إسحاق الإسفراييني: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران بن الإسفراييني الملقب بركن الدين الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي أخذ عنه الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور وأقر له أهل العراق وخراسان بالعلم والفضل، وله التصانيف الجليلة، واختلف

وكذلك المدرسة البيهقية للإمام البيهقي[٦٤] المتوفي سنة (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، بل وتشير بعض النصوص التاريخية إلى أن المدارس في الإسلام أنشئت منذ وقت مبكر، يدل على ذلك ما ذكره ياقوت [٦٥] عند حديثه عن ابن حبان البستي[٦٦] المتوفي سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م) إذ قال: "أبو حاتم بن حبان وداره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه، ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة، وفيها خزانة كتبه في يدي وصي مسلمها إليه ليبذلها لمن يريد نسخ شيء منها من غير أن يخرجه منها" وجاء في بعض المصادر [٦٧]: "إن أبا بكر الحسن بن فورك الأصفهاني [٦٨] المتوفي سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م) أقام بالعراق مدة يدرس العلم، ثم توجه إلى الري، فراسله أهل نيسابور والتمسوا منه التوجه إليهم، ففعل وورد نيسابور، فبني له فيها مدرسة ودارا وأحيا الله به أنواعا من العلوم". وعلى هذا لم تكن النظاميات أول ما أنشئى من المدارس، ولكن يمكن أن توصف بأنها أول مؤسسات تعليمية تدخلت الدولة في تحديد أهدافها، ودراسة مناهجها، واختيار طلابها وأساتذتها، والقيام بالإنفاق عليها، وإمداد طلابها بجميع ما يحتاجون إليه من مرتبات وأرزاق شهرية، فضلا عن الحبر والورق اللازمين للحركة التعليمية.

وكانت هذه النظاميات من المدارس المستقلة عن المساجد، أي أنها لم تكن تابعة لها، ولكن كان ملحقا بكل مدرسة منها مسجد، تؤدى فيه الفرائض والشعائر الدينية [٦٩].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلى مجلسيه أبو القاسم القشيري والحافظ البيهقي وتوفي الإسفراييني سنة (٤١٨هـ/ ١٠٢٧م).ابن خلكان:وفيات الأعيان ج١ ص٢٨،ابن كثير:البداية والنهاية ج١٢،ص٢٤.

(٦٤) الإمام البيهقي: هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور واحد زمانه، وفرد أقرانه في الفنون رحل كثيراً وحصل علما واسعا بالحديث وطلب إلى نيسابور لتدريس فقه الشافعي.ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص٧٥، ٧٦، ابن عساكر: تبيين كذب المفتري ص٢٦٥.

(٦٥) معجم البلدان: ج١ ص٤١٧، ٤١٨.

(٦٦) ابن حبان البستي: أبو محمد بن أحمد بن حبان البستي كان من فقهاء الدين عالما بالطب والنجوم وفنون العلم واللغة والفقه والحديث وألف كتاب "المسند الصحيح". ياقوت: معجم البلدان ج١ص٤١٧، ٤١٨.

(٦٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص٢٧٢، ابن الأثير: اللباب، ج٢ ص٢٤٢.

(٦٨) ابن فورك الأصفهاني: الأستاذ أبو بكر محمد بن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الأصفهاني، كان أحد أوعية العلم وبلغت مصنفاته قريبا من مائة. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٤ ص٢٧٢.

(٦٩) ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ص١٢، مطبعة الإرشاد ط١ بغداد ١٩٧٣.

وكان التعليم في هذه المدارس قائماً على تلقي العلوم الدينية واللغوية، ونشر الفقه الشافعي على وجه خاص، إذ كان من الشروط الواجب توافرها في الملتحق بهذه المدارس، أن يكون شافعياً أصلاً وفرعاً [٧٠] ثم أخذت هذه المدارس تتوسع يوما بعد يوم في إدخال موضوعات جديدة. ولم يبخل نظام الملك بتوفير الإمكانات المادية، التي تعين هذه المدارس على النهوض برسالتها العلمية على أكمل وجه، ولذا نراه ينفق عليها بسخاء، ويخصص لها الأوقاف للإنفاق على عمارتها ودور كتبها، فيذكر ابن الجوزي[٧١] أن نظام الملك وقف على مدرسته ببغداد ضياعًا وأملاكاً كثيرة، بينما يذكر المافروخي [٧٢] أن نظامية أصفهان قدرت نفقاتها وقيمة أوقافها بعشرة آلاف دينار، كما كان لنظامية نيسابور أوقاف عظيمة للإنفاق عليها.

واستقدم السلاجقة لهذه المدارس خيرة العلماء والفقهاء والأدباء في مختلف فروع العلم، وأغدقوا عليهم المال والعطايا، ونقلوا إليها الكثير من الكتب ليستعين بها طلاب العلم، وشجعوا الطلاب من البلاد الإسلامية الأخرى للالتحاق بها، والعلماء للتدريس لطلابها، إذ كان يقوم بالتدريس في هذه المدارس نخبة من مشهوري العلماء المشهود لهم بالعلم والمعرفة وبعضهم كان له من الصيت والشهرة ما يدفع بعض طالبي العلم من البلاد المختلفة لتحمل المشاق للحضور إلى هذه المدارس، للتزود بالعلم على أيدي هؤلاء العلماء، فكان لهم تلامذتهم ومريدوهم، الذين يفدون خاصة لتلقي العلم منهم، والتتلمذ على أيديهم.

وقد أجمعت المصادر على وصف رجال هذه المدارس ــ والذين تعاقبوا على منصب التدريس بها ــ بالفضل والعلم والتقوى، والقدرة على التأليف والإنتاج العلمي، فأبو إسحاق الشيرازي[٧٣] -مدرس نظامية بغداد- عندهم إمام وقته، فاق أهل زمانه بالعلم والزهد، وأكثر علماء الأمصار من تلامذته، ومحاسنه أكثر من أن تحصر[٧٤]. وأما أبو بكر الشاشي – مدرس نظامية بغداد أيضا- فتصفه المصادر بأنه فخر الإسلام، يضرب المثل باسمه [٧٥].

---

(٧٠) خواندمير: دستور الوزراء ص٢٥٣، ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٦٦.

(٧١) المنتظم: ج٨ص ٢٥٦.

(٧٢) محاسن أصفهان: ص١٠٤.

(٧٣) أبو إسحاق الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الملقب جمال الدين ضرب به المثل في الفصاحة والمناظرة وكانت الطلبة ترحل إليه من المشرق والمغرف وصنف التصانيف المفيدة منها "المهذب" و"اللمع" و"التنبيه" وغير ذلك وتوفي سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١ ص٣٠

(٧٤) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٧.

(٧٥) السبكي: طبقات الشافعية ج٤ ص٥٧.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما حجة الإسلام الغزالي – مدرس نظامية نيسابور – فيصفه ابن خلكان [٧٦] بقوله: "لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله"، بينما يصفون الجويني – مدرس نظامية نيسابور أيضا– بأنه أعلم المتأخرين على الإطلاق، المجمع على إمامته المتفق على غزارة علمه [٧٧] والسمعاني مدرس نظامية مرو إمام عصره بلا مدافعة [٧٨] في حين يصفون الخجندي – مدرس نظامية أصفهان– بأنه من جملة رؤساء الأئمة، ومن الذين انتشر علمهم في الآفاق [٧٩].

وهذا خير دليل على المستوى العلمي للمدارس النظامية، وتفوق علماء العصر وأساتذة الجيل بين علماء المسلمين، ممن حملوا عبء التدريس بهذه المدارس.

وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه الجهود إلى رواج سوق العلم، فأقبل الجميع على طلبه حتى بلغ عددهم في نظامية بغداد عام (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) ثلاثمئة طالب، كانوا يتلقون العلم على الإمام الغزالي[٨٠] أما في نظامية نيسابور فكان يقعد بين يدي إمام الحرمين كل يوم أربعمائة طالب من الأئمة والطلبة، فقد ذاع صيته وطبقت شهرته الآفاق، حتى قصده الكثيرون من جميع البلدان، يطلبون العلم على يديه [٨١].

وكان تأسيس المدارس النظامية رائعًا، والدافع الذي قامت عليه دافعًا قويًا لإيجاد غيرها من المدارس في خراسان، إذ أصبح إنشاء المدارس وإقامة دور العلم والمكتبات ظاهرة طيبة،شملت جميع أفراد المجتمع من مختلف الطبقات.

ووجدت إلى جانب النظاميات عشرات المدارس التي يؤمها أفاضل العلماء وأجلهم، وكان المؤسسون يبغون الثواب، أو خدمة مذهبهم، أو منافسة معارضيهم. ومنذ ذلك الوقت ونتيجة لهذا الاهتمام، ارتبطت رسالة العلم بتلك المدارس، التي أصبحت من المنارات العلمية الكبرى، وسمة ظاهرة من سمات العصر السلجوقي. ولا ريب أن السلاجقة، ببنائهم هذا الكم الهائل من المدارس العلمية والفقهية، تمكنوا من إرساء قواعد النشاط الثقافي في بلادهم على أسس منظمة، إذ غدت تلك المدارس مؤسسات ثقافية لتخريج واستقبال المدرسين والطلاب داخل المنطقة وخارجها. وحسبنا أن نقول: إن إقليم خراسان، وإن كان أعجمياً، إلا أنه خرّج مئات العلماء

---

(٧٦) وفيات الأعيان ج٤ ص٢١٦، ٢١٧، ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية ج١ ص٢٥٥.
(٧٧) ابن عساكر: تبين كذب المفتري ص ٢٧٨، ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد ج١ ص٨٥.
(٧٨) اللكنوي: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ص ١٧٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٣ ص٢١٢.
(٧٩) السبكي: طبقات الشافعية ج٣ ص٥٠، ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص٢١٩.
(٨٠) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٥٥، السبكي: طبقات الشافعية ج٣ ص١٠٣، ١٠٤.
(٨١) ابن عساكر: تبين كذب المفتري ص ٢٧٨.

والفقهاء، والمحدثين، والمفسرين، والأدباء، الذين كان لهم أثر كبير في الدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي، وخلفوا لنا أنهارا من الكتب القيمة. ومن الجدير بالإشارة أن أكثر علماء خراسان – خاصة في العصر السلجوقي– لم يقتصروا على فن واحد من فنون العلم والمعرفة، وإنما كانوا شعراء وكتاباً ثم فقهاء ومحدثين وفلاسفة، وقد حاز بعضهم قصب السبق في العلوم الدينية واللغوية، حتى ظهرت بعض الشخصيات التي أسهمت في كثير من ميادين الحياة العلمية، بل وفرضت نفسها على النتاج العلمي بشتى ميادينه، ويتجسد هذا في المؤلفات الضخمة والأسفار الزاخرة في شتى ميادين الفن والعلم التي ظهرت في هذا العصر، حتى يمكن القول: إن العصر السلجوقي كان من العصور التي وصلت فيها الحياة العلمية إلى قمة ازدهارها وتقدمها، فضلا عما امتاز به هذا العصر من كثرة المؤسسات العلمية في كل ركن من أركان الدولة السلجوقية، إضافة إلى المكتبات الحافلة بأنواع العلوم والفنون والمعرفة.

وهكذا كان العصر السلجوقي هو عصر رواج وانطلاق الحركة المدرسية في خراسان، واستجابة لتطور الحياة العلمية ونموها، حتى أصبحت قاعدة مهمة للتعليم، فلم يكن إنشاء هذه المدارس والإنفاق عليها بسخاء، يرمي إلى نشر العلوم الدينية فحسب، وإنما كان الهدف الأكبر منه هو تحقيق إصلاح جذري في المجتمع، وجمع القلوب والعقول والأفئدة حول سلاطين السلاجقة، والإخلاص للمذهب السني، بعد أن كانت هذه القلوب متفرقة مزعزعة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن أشهر مدن خراسان التي ازدهرت بها الحركة المدرسية: مدينة " نيسابور"، ومدينة "مرو" و مدينة " هراة " و مدينة " بلخ ".

أولاً: الحركة المدرسية بمدينة نيسابور في العصر السلجوقي:

نيسابور من أهم مدن خراسان الأربع (هراة ومرو وبلخ ونيسابور) وإحدى مدن إيران الهامة، وهي مدينة قديمة ذات شهرة في تاريخ الإسلام، وحسب الإنسان أن يقرأ وصف الجغرافيين لها ليعجب لهذه الحركة، التي تعج بها المدينة، في شتى نواحي النشاط الإنساني، يقول ياقوت الحموي [٨٢] "لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها"، بينما يصفها القزويني [٨٣] بأنها "مجمع العلماء، ومعدن الفضلاء، ومن أحسن بلاد الله وأطيبها".

وكانت نيسابور أول مركز علمي مزدهر في المشرق الإسلامي، ظل محتفظا بمكانته العلمية حتى العصر السلجوقي، وقد تقلب حظ هذه المدينة بين الانتعاش

([٨٢]) معجم البلدان: ج٥، ص٢٣١.
([٨٣]) آثار البلاد، ص٤٧٢.

والانتكاس، حتى اتخذها السلاجقة عاصمة لدولتهم منذ قيامها سنة (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، فبدأت تنتعش ولمع اسمها، ووصلت إلى ذروة نهضتها، وأصبحت عنوانا للنهضة الثقافية الإسلامية.

وقد توفرت لنيسابور في هذه الفترة مقومات الازدهار العلمي، وأهمها: الانفتاح الثقافي الذي كان يسود العالم الإسلامي آنذاك، فمن المسلم به أن أهم ما يميز الحياة العلمية أنها حركة عامة، وليست خاصة بإقليم معين، إذ كان كل ما يظهر بإقليم من مصنفات علمية سرعان ما ينقل إلى البلدان الأخرى، من أقصى المشرق في خراسان إلى أقصى المغرب في الأندلس، وكان لموقعها الجغرافي (على أبواب خراسان) ما جعلها مجمع العلماء وملتقى الفضلاء والأدباء. وإذا كان انتشار المدارس في العصر السلجوقي هو الحدث الأكبر والأهم ؛ الذي حققته الحضارة الإسلامية على المستوى الثقافي، والقفزة الكبرى في سلم التطور العلمي ــ بعد أن كان التعليم محصورا في المساجد ــ فقد كانت مدينة نيسابور أولى المدن التي عرفت هذه المؤسسات في العالم الإسلامي، فقد أنشأ فيها علماء المسلمين العديد من المدارس منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) فكانت أول مدرسة بنيت بنيسابور لأبي إسحاق الإسفراييني المتوفي سنة (٤١٨هـ/ ١٠٢٧م) ومن قبلها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، فقد كانا من كبار الأئمة وأولى العلم في نيسابور[٨٤].

وسار السلاجقة على هذا النهج الثقافي، فأنشأوا فيها العديد من المدارس الجديدة، التي أدت دورا مهما في ذيوع العلم وانتشار الثقافة، وطبقت شهرة مدارسها ومكتباتها الزاخرة الآفاق، وتمت فيها العلوم والفنون، وبرز العلماء في الفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب، والعلوم الرياضية من هندسة وفلك وحساب، ثم في علوم الطب وغير ذلك من العلوم الوثيقة الصلة بحياة الإنسان، فعطرتها المعرفة بنخبة فريدة من رجال العلم والأدب، بسطوا عليها نور الثقافة، وأضاؤا فيها مصابيح المعرفة.

وكان من أهم علماء نيسابور المشهورين: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفي سنة (٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، كان حجة في الحديث وفقه الشافعي، رحل كثيرا وحصل علما واسعا، قال إمام الحرمين في حقه: "ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة، إلا البيهقي فإن له على الشافعي منة لتصانيفه في نصرة مذهبه"[٨٥].وقال الذهبي [٨٦]: "لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه ؛ لكان قادرا

---

(٨٤) السبكي: طبقات الشافعية: ج٣، ص٥٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٧٢.

(٨٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١ ص٧٥، ص١٥٩، ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص٢٤٢.

(٨٦) تذكرة الحفاظ: ج٣ ص١١٣٢.

على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالخلاف" وله تصانيف كثيرة منها : "السنن الكبرى" وغير ذلك [٨٧]. وقد خرجت نيسابور كثيرا من العلماء والأدباء، نخص بالذكر منهم: أبا القاسم القشيري، صاحب الرسالة القشيرية في التصوف، والمتوفي سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٣م) كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف، وهو أحد مشاهير الدنيا في الفضل والعلم والزهد، وكان يعد شيخ خراسان، في عصره، زهدا وعلما بالدين[٨٨].وكان له ابن يقال له عبد الله بن عبد الكريم القشيري، كان إماما كبيرا أشبه أباه في علومه ومجالسه، وقد أنجب عدة أولاد كلهم فضلاء وعلماء مشهورون[٨٩].

ويكفي لفخر هذه المدينة وفضلها أنه ولد فيها علي بن محمد بن علي الواحدي المتوفي سنة (٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م)، صاحب التفاسير، وأستاذ عصره في النحو والتفسير وغير ذلك من العلوم، ورزق السعادة في تصانيفه التي أجمع الناس على حسنها، وذكرها المدرسون في دروسهم [٩٠]. قال ياقوت[٩١] عنه: هو الإمام المصنف المفسر النحوي أستاذ عصره وواحد دهره، أنفق صباه وأيام شبابه في التحصيل، وطاف على أعلام الأمة، وقعد للإفادة والتدريس سنين، وتخرج عليه طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرءوا عليه وبلغوا محل الإفادة، وكان حقيقا بكل احترام وإعظام، ومن تصانيفه المشهورة "البسيط" في تفسير القرآن، وكذلك "الوسيط" و"الوجيز"، ومنه أخذ أبو حامد الغزالي أسماء كتبه الثلاثة، وله كتاب: "أسباب النزول" [٩٢].

وإمام الحرمين الجويني، المتوفي سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) الذي بنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور، وعهد إليه بالتدريس فيها، ظل فيها مدرسا ثلاثين سنة، يحضر درسه الأكابر والجمع العظيم من الطلبة، وكان يحضر بين يديه كل يوم نحو من أربعمئة رجل من الأئمة والطلبة، وتخرج على يديه جماعة من الأئمة والفحول وأولاد الصدور في زمانه، حتى بلغوا محل التدريس [٩٣]. كما خرجت هذه المدينة الوزير الكبير والعالم الجليل: نظام الملك الطوسي، المتوفي سنة

---

(٨٧) ابن الجوزي : المنتظم، ج٨، ص٢٤٢، السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٤٣٢.

(٨٨) ابن الجوزي : المنتظم، ج٨، ص ٢٨٠، السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص٢٤٣.

(٨٩) الصريفيني : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، ص ٢٩٨،تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز ، دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٩٨٩ م.

(٩٠) القطفي: إنباه الرواة. ج٢ ص٢٢٣، ياقوت: معجم الأدباء، ج٣، ص٥٥٦.

(٩١) معجم الأدباء، ج٣ ص٥٥٦.

(٩٢) السيوطي: طبقات المفسرين، ص٧٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٣٢٩.

(٩٣) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص٢٧٨، ابن الجوزي : المنتظم ج٩، ص١٩.

(٤٨٥هـ/١٠٩٢م)[٩٤].

ومن مشاهير العلماء النيسابوريين الإمام الغزالي، المتوفي سنة (٥٠٥هـ/١١١١م)[٩٥].

وأبو المفظر الأبيوردي، المتوفي سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م)، الشاعر المشهور، كان فاضلا في العربية والعلوم الأدبية، وكان مهيبا محترما معظما لا يخاطب إلا بمولانا لغزارة علمه، وقد دأب على التدريس والإفادة والتصنيف، وله مؤلفات كثيرة[٩٦]. ومن علمائها الحكيم والفلكي النيسابوري عمر الخيام، المتوفي سنة (٥١٧هـ/ ١١٢٣م)[٩٧].

ومنهم الميداني النيسابوري، المتوفي سنة (٥١٨هـ/١١٢٤م) كان فاضلا عارفا باللغة، وأتقن فن العربية خصوصا اللغة وأمثال العرب، وله فيها التصانيف المفيدة، منها كتاب: "مجمع الأمثال" وكتاب "السامي في الأسامي" [٩٨].

ومن أعلام نيسابور:عبد الغافر الفارسي المتوفي سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) الفقيه الشافعي، كان إماما في الحديث واللغة والأدب والبلاغة، والتاريخ وله فيه مؤلفات، تفقه على إمام الحرمين، ثم رحل فأكثر الأسفار ولقي العلماء، وله تصانيف منها: "السياق في تاريخ نسيابور" وغير ذلك كثير[٩٩]. ومحمد بن يحيى بن أبي منصور النيسابوري، الملقب محيي الدين، المتوفي سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) أستاذ المتأخرين وأوحدهم علما وزهدا، برع في الفقه وصنف فيه، وانتهت إليه رياسة الفقهاء بنيسابور، ورحل إليه الناس من البلاد، واستفاد منه كثير حتى صار أكثرهم سادة وأصحاب طرق [١٠٠]، وكان يدرس بنظامية نيسابور، ثم درس بمدينة هراة في المدرسة النظامية.

وقتله الغز [١٠١] لما استولوا على نيسابور في وقعتهم مع السلطان سنجر

---

(٩٤) السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص١٣٥، ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص٦٥، ٦٦.
(٩٥) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص ٢٩١، ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج٣، ص٢٩٣.
(٩٦) السبكي: طبقات الشافعية، ج٤، ص٦٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ٢٨٣.
(٩٧) البيقهقي: تاريخ الحكماء، ص١١٩، ابن خاوند شاه: روضة الصفاء ص٢٣٥.
(٩٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٤٨٩، ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص٢٨٨.
(٩٩) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤ ص١٢٧٥، السبكي: طبقات الشافعية ج٤ ص٢٥٥.
(١٠٠) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٤ ص٢٢٣، الذهبي: العبر، ج٤، ص١٣٣.
(١٠١) الغز: طائفة من التركمان يسكنون في بلاد ما وراء النهر ويدينون بالإسلام ثم أخرجهم منها القرة خطائبون (الخطا) عندما هاجموا بلاد ما وراء النهر واستولوا عليها فسار الغز إلى إقليم خراسان واستقروا في بلخ، وكانوا يدينون بالطاعة للسلطان سنجر

السلجوقي. ومن بينهم ابن فندق البيهقي، المتوفي سنة (٥٦٥هـ/١١٦٩م) كان باحثا ومؤرخا ودرس علم الكلام، واشتغل بعلوم الحكمة والحساب والفلك، وتعلم المناظرة والمجادلة، وصار يعقد مجالس الوعظ، وله تصانيف كثيرة منها: "تاريخ حكماء الإسلام"، و"تاريخ بيهق"، وكتاب "أسامي الأدوية وخواصها ومنافعها" وغير ذلك كثير[١٠٢]. كما كانت نيسابور مركزا هاما للعلماء والأدباء، وكثيرا ما جذبت إليها علماء العالم الإسلامي آنذاك، كي يتلقوا العلم على علمائها، وأوضحت بذلك متدفقة بالحياة والنشاط، زاهرة بمجالس العلم على اختلاف أنواعه، يتصدرها مدرسون من كبار شخصيات الإسلام، ويتزاحم الطلبة الوافدون إليها من مختلف البلدان.

وكانت نيسابور من أولى المدن التي عرفت المدارس في العالم الإسلامي، كما تشهد بذلك النصوص التاريخية فقد أنشأ فيها علماء المسلمين العديد من معاهد العلم منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وسار السلاجقة على هذا النهج، فأنشأوا فيها العديد من المدارس، حيث أدّوا معا دورا مهما في نشر الثقافة والعلوم الإسلامية. والواقع أن كثيرا من مدارس خراسان قد ورد ذكرها في المصادر عرضا، وذلك عند الحديث عن تراجم العلماء والأدباء، في الوقت الذي لم ترد فيها أية معلومات خاصة عن هذه المدارس، ولا تاريخ بنائها وتأسيسها، وإنما يفهم ذلك من خلال تراجم مدرسيها أو العلماء الذين نزلوها أو عقدوا فيها مجالس الإملاء أو المناظرة أو الوعظ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعدد أحد الباحثين[١٠٣] أكثر من ثلاث وثلاثين مدرسة، أنشئت في مدينة نيسابور كان يرتادها العلماء والأدباء والفقهاء، وعقدوا فيها مجالس الوعظ والمناظرة، وبعض هذه المدارس كان موجودا قبل العصر السلجوقي. ولكني سأقصر الحديث على المدارس التي استمرت المصادر والنصوص التاريخية تشير إلى وجودها واستمر العمل بها، وارتادها علماء وأدباء عاشوا في العصر السلجوقي[١٠٤].

السلجوقي ولكن لم يلبث أن انقلبوا عليه فهاجموا مرو ونيسابور وجميع بلاد خراسان ودارت بينهم وبين سنجر حروب انتهت بهزيمة السلاجقة، ووقع السلطان سنجر في الأسر وذلك سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م). الراوندى : راحة الصدور، ص ٢٦٨ ــ محمود إدريس: السلطان سنجر، ص ٨٤.

(١٠٢) ياقوت: معجم الأدباء، ج٤ ص١١٣.

(١٠٣) ناجي معروف: مدارس قبل النظامية، ص ١٢٣، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني والعشرين ١٩٧٣م.

(١٠٤) صلاح الين على عاشور: الحياة العلمية في العراق والمشرق الإسلامي إبان العصر السلجوقي (٤٤٧ــ٥٩٠هـ/١٠٥٥ــ١١٩٣م) ص١٦٠، ١٦١ رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٩٦م.

١-المدرسة الصاعدية:

ورد ذكر هذه المدرسة في كتاب : "منتخب السياق لتاريخ نيسابور" في عدة مواضع، وذلك عند ترجمته لكثير من العلماء، فقد ورد ذكرها عند الترجمة لأبي القاسم الصاعدي المتوفي سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) قال عنه: "كان رجلا كبيرا فاضلا مشهورا من الدوحة الصاعدية، حسن الطريقة متعصبا لأهل السنة، تولى القضاء بنسيابور ودرس بالمدرسة الصاعدية سنين، وكانت إليه الفتوى على مذهب أبي حنيفة ". ومن مدرسيها أيضا أبو العلاء صاعد بن منصور المتوفي سنة (٤٩٤هـ/١١٠٠م) أحد وجوه الصاعدية، كان يحضر المجالس والمحافل مع أبيه، وينوب عن والده في الخطابة، وأقعده في المدرسة للتدريس [١٠٥]. كما جاء ذكر المدرسة أيضا عند الحديث عن عبد الملك الصاعدى المتوفي سنة (٥٠١هـ/١١٠٧م) قال عنه: شيخ فاضل فقيه مدرس من وجوه الصاعدية" [١٠٦].

٢-مدرسة سهل الصعلوكي:

ورد ذكر هذه المدرسة في "منتخب السياق" في ترجمة محمد بن يحيى بن أبي زكريا المزكي المتوفي سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م)، وكان من أكابر العلماء، ويحكى أنه كان يحضر مجلس إملائه أكثر من خمسمئة محبرة، وعند وفاته دفن خلف مدرسة سهل الصعلوكي بنيسابور [١٠٧] وقد ذكر المؤرخون [١٠٨] أن سهل الصعلوكي هذا هو: أبو الطيبان بن أبي سهل الصعلوكي العجلي المتوفي بنيسابور (٤٠٤هـ/١٠١٣م) فعلى هذا تكون مدرسته قد أنشئت قبل هذا التاريخ، وكان سهل الصعلوكي مفتي نيسابور، ووصف بأنه جمع بين رياستي الدنيا والدين، ويلقب بشمس الإسلام [١٠٩].

٣- مدرسة الصابوني:

يظهر مما ورد في المصادر أن هذه المدرسة أنشئت قبل سنة (٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) فقد ورد ذكرها في ترجمة لعبد الله بن طاهر البوشنجي، جاء فيها: محترم فاضل قدم نيسابور سنة (٤٠٥هـ، وعقد له مجلس الإملاء في مدرسة الصابوني [١١٠]، مما يدل على أن المدرسة كانت موجودة قبل هذا التاريخ، وقد ذكر المؤرخون أن الشيخ أبا عثمان الصابوني المتوفي سنة (٤٤٩هـ) لما حضرته الوفاة طلب من

---

(١٠٥) الصريفيني: منتخب السياق، ص٢٦٠.
(١٠٦) السابق: منتخب السياق، ص٣٣١، ٣٣٢
(١٠٧) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣ ص١١٨٣.
(١٠٨) ابن العماد: شذارت الذهب ج٣ ص١٧٢.
(١٠٩) ناجي معروف: مدارس قبل النظامية ص١٢٧
(١١٠) السيوطي: طبقات المفسرين ص٣٦ ــ ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص٧٦

أصحابه أن يجلسوا في المدرسة، ويساعدوا الأصحاب على قراءة القرآن، كما طلب أن يدفن في المدرسة [١١١]، وبعد وفاته قام ابنه عبد الرحمن الصابوني المتوفي سنة (٥٠٠هـ) بمهمة التدريس بالمدرسة [١١٢].

٤-المدرسة الناصحية:

ذكرها العديد من المؤرخين[١١٣] بصدد ترجمتهم لأحد مدرسيها، وهو: أبو عبد الله الفراوي الملقب بفقيه الحرم، والمتوفي سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م)، قالوا فيه: درس الأصول والتفسير على زين الإسلام القشيري، وتفقه على إمام الحرمين، وحج وعقدت له مجالس العلم بالحرمين، ويروى أنه أملى أكثر من ألف مجلس، وعاد إلى نيسابور ودرس بالمدرسة الناصحية وأفاد الطلبة فيها.

٥- المدرسة البيهقية:

ذكر المؤرخون أن المدرسة البيهقية بنيسابور أنشئت قبل أن يولد نظام الملك أي قبل سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م) ومؤسسها هو: علي بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م) كان كاتبا وأديبا من وجوه أصحاب الشافعي، بنى مدرسة من خالص ماله وأنفق على عمارتها ومصالحها آلافاً مؤلفة [١١٤] ومن العلماء الذين ورد ذكرهم في المدرسة البيهقية: الحافظ أحمد بن عبد الملك بن عبد الصمد المتوفي سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) الذي كان عليه الاعتماد في الودائع وكتب الحديث المجموعة في الخزائن المعروفة عن المشايخ والموقوفة على أصحاب الحديث وكانت موضوعة عنده في حجرته في المدرسة البيهقية، فكان يصونها ويتعهد حفظها، ويتولى أوقاف المحدثين من الحبر والورق وغير ذلك، كما وكلت إليه أوقاف المدرسة وعمارتها، و كان يقوم إلى جانب ذلك بالوعظ والتدريس بهذه المدرسة[١١٥]، وبعد وفاته قام ابنه أبو الفضائل مقامه في حفظ الكتب ومهمة الوعظ والتدريس في المدرسة [١١٦].

كما ورد في ترجمة إمام الحرمين الجويني، المتوفي سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) أنه كان يذهب طالبا إلى مدرسة البيهقي لتلقي العلم على أساتذتها [١١٧]. وأبو القاسم

---

(١١١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص٤٠.
(١١٢) الصريفيني: منتخب السياق ص٣١٨
(١١٣) ابن العماد: شذرات الذهب ج٤ ص٤٦، السبكي: طبقات الشافعية ج٤ ص٩٢
(١١٤) الصريفيني: منتخب السياق، ص١٠٧، ١٠٨، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣ ص١١٦٢.
(١١٥) الصريفيني: منتخب السياق، ص١٠٨، الذهبي: تذكرة الحفاظ ج٣ ص١١٦٣.
(١١٦) ناجي معروف: مدارس قبل النظامية ص١٣٥.
(١١٧) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري ص٢٧٨، السبكي: طبقات الشافعية ج٣ ص٢٤٩.

الأنصاري المتوفي سنة (٥١٢هـ/١١١٨م) كان يخلف الشيخ أبا صالح بعد وفاته في مدرسة البيهقي وعمارتها والسعي في مصالحها وحفظ الكتب، كما كان يقوم بالوعظ في المدرسة [١١٨]. وأبو بكر البوشنجي المتوفى سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) كان إماما فاضلا ورعا اشتغل بالعبادة وانزوى عن الخلق في مدرسة البيهقي [١١٩].

٦-المدرسة النظامية:

أنشأها الوزير نظام الملك قبل نظامية بغداد بنحو عشر سنوات، فقد أجمع المؤرخون[١٢٠] أن مدرسها الأول إمام الحرمين الجويني، المتوفي سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، درس بها نحو ثلاثين سنة، وعلى هذا يكون وقت إنشائها في حدود سنة (٤٤٨هـ/١٠٩٥م)، وذلك وقت أن كان نظام الملك يعمل وزيرا لألب أرسلان أيام ولايته على خراسان، وقبل أن يلي أمور السلطة خلفا لعمه طغرل بك [١٢١].

وتعد نظامية نيسابور من أشهر المدارس الإسلامية التي أنشئت بها، فقد نالت صيتا ذائعا في كل أنحاء العالم الإسلامي، وتولى التدريس فيها أكابر العلماء، ممن كانت لهم قدم السبق في تطوير الحياة الثقافية وإنعاشها، وبما تركوا من مؤلفات نفيسة أصبحت من أمهات الكتب المعتمد عليها في العصر السلجوقي والعصور اللاحقة له "وبما خرجوا من طلبة نجباء فضلاء كان لهم فضل كبير في نشر الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي، وهناك عدد كبير من الأساتذة الذين أسندت إليهم مهمة التدريس بها، أو الذين عقدت لهم مجالس الإملاء أو المناظرة، عدا من تخرج منها، وأشهر مدرسيها: إمام الحرمين الجويني وابنه أبو القاسم المتوفي سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م)[١٢٢]، وأبو حامد الغزالي المتوفي سنة (٥٠٥هـ/١١١١م) [١٢٣]،

---

(١١٨) الصريفيني: منتخب السياق، ص٢٤٩، الذهبي: العبر، ج٤ ص٢٧.

(١١٩) ناجي معروف: مدارس قبل النظامية ص١٣٨.

(١٢٠) ابن الأثير: اللباب ج١ ص٣١٥، ابن العماد: شذرات الذهب ج٣ ص٣٥٨.

(١٢١) بعد النصر الذي حققه قادة السلاجقة باستيلائهم على منطقة خراسان، رأى السلطان "طغرل بك" كي يضمن قيام الوحدة والترابط بين أفراد البيت السلجوقي أن يستعين بهم في حكم البلاد تحت سلطانه فقسم البلاد فيما بينهم وعين كل واحد منهم حاكما على إقليم وسيره إليه وأعطى له الحق بفتح وضم ما يشاء من البلاد المجاورة لمملكته بحيث لا يتعدى على ممتلكات الآخر فجعل لأخيه جغري بك منطقة خراسان الذي عهد بها لابنه ألب أرسلان وعينه حاكما عليها وعين له وزيرا من قبله هو نظام الملك ثم لم يلبث أن توفي جغري بك فخلفه على الإمارة ابنه ألب أرسلان وأصبح نظام الملك هو المسئول عن كل أعمال ألب أرسلان إلى أن آلت السلطنة إليه، فعلت منزلة وزيره.الحسيني: زبدة التواريخ ص٧٣، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٢٣٧

(١٢٢) ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ص٤٤.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقطب الدين النيسابوري المتوفي سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م)[١٢٤].

٧-المدرسة القشيرية:

هي منسوبة إلى الأستاذ أبي القاسم القشيري المتوفي سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) صاحب الرسالة القشيرية الشهيرة في التصوف. ومن الذين تولوا مهنة التدريس بهذه المدرسة: الفضل بن محمد الفارمذي المتوفي سنة (٤٧٧هـ/١٠٨٤م) [١٢٥] والمطهر بن علي بن العباس الهمذاني المتوفي سنة (٥٠٣هـ/١١٠٩م) فقيه فاضل، ومناظر كبير، عقد له مجلس الوعظ والإملاء في المدرسة القشيرية بنسيابور[١٢٦].

ثانياً: الحركة المدرسية بمدينة مرو في العصر السلجوقي:

مرو حاضرة إقليم خراسان وعاصمتها في عصر السلاجقة العظام، وتعد بلا مراء من أعظم مراكز الثقافة في المشرق الإسلامي، إذ كانت واسطة العقد، والمدينة الكبرى، ومنبع العلماء والفضلاء، ودار الملك لجماعة من سلاطين السلاجقة دهرا طويلا، فبلغت الحضارة الإسلامية فيها مبلغا كبيرا، وأقيم فيها العديد من المدارس العلمية لنشر العلم.

وكانت نظامية مرو، التي أنشأها الوزير نظام الملك، من أهم المدارس التي أسست لأصحاب الشافعي، ووكل أمر التدريس فيها لابن المظفر السمعاني المتوفي سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٥م)، وقد تولى التدريس بعده جماعة من مشاهير العلماء [١٢٧]، وبقيت تلك المدرسة مقصد طلاب العلم من مختلف البلدان الإسلامية، ينزلون بها ويتعلمون فيها كلما وفدوا على مرو[١٢٨]. كذلك كانت هناك مدرسة لأصحاب أبي حنيفة، وهي المدرسة العميدية التي أنشأها عميد خراسان "محمد بن منصور" المتوفي سنة (٤٩٤هـ/١١٠٠م)، وجعلها وقفا لأصحاب مذهبه، وكانت تحتوي على خزانة كتب[١٢٩].

وقد ظهرت أهمية هذا الإقليم في عصر السلطان "ألب أرسلان" الذي اتخذ من مرو حاضرة لدولته، حيث ظهرت في عهده نهضة علمية شاملة، فقد بنى الرئيس أبو

---

(١٢٣) ابن عساكر: تبين كذب المفترى، ص٢٩١، ابن الجوزي: المنتظم، ج٩ ص١٦٨.
(١٢٤) ابن قاضي شهبة:طبقات الشافعيةج٢ ص٢٠،السبكي،طبقات الشافعية ج٤ ص٣٠٩.
(١٢٥) ناجي معروف: مدارس قبل النظامية، ص١٥٠.
(١٢٦) ناجي معروف: السابق، ص ١٥١، ١٥٢.
(١٢٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٣ ص ٢١٢.
(١٢٨) ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ص ٦١، ٦٢.
(١٢٩) ابن الجوزي: المنتظم ج٨ ص ٢٤٥، ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص٢٠٥.

علي المنيعي، المتوفي سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، جامعا بمرو تقام فيه الجمعة والجماعة، وصار جامع البلد المشهور، يدرس فيه العلوم والآداب وشتى نواحي المعرفة[١٣٠].

وكان السلطان "سنجر بن ملكشاه" مع سعة ملكه، قد أختارها على سائر بلاده لتكون مقرا له، وكان يجل العلماء ويقدرهم، فقصده عدد كبير من مشاهير العلماء والأدباء، وتولوا المقاعد التدريسية وحلقات الطلبة، وأسهموا في تنشيط الحركة الثقافية في هذه المدينة، ووكلت إليهم كبرى المناصب القضائية والإدارية، بما عرف عنهم من مقدرة علمية وأدبية رشحتهم لأرقي المناصب، مما يشير إلى مدى ما كانت تتمتع به هذه المدينة من ازدهار علمي وأدبي.

كما بلغت حركة التأليف والنسخ واقتناء الكتب بها شأوا كبيرا. وقد اشتهرت مدينة مرو، فضلا عن مدارسها ومساجدها، بمكتباتها الحافلة بأنواع العلوم والفنون، فيذكر ياقوت الحموي[١٣١] وكان معاصرا، لهذه الفترة: أنه أقام طويلا في مدينة مرو، وأخذ العلم من علمائها، وأفاد من خزائن كتبها، وأن هذه الكتب قد أعانته على جمع مادة كتابه المعروف بـ "معجم البلدان" ويقول: "فإني فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف، لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة" ، وكانت خزائن كتبها ملحقة بالمساجد أو المدارس، وكان الاطلاع على تلك الكتب سهلا ميسورا دون قيود، حيث كان يرتع فيها ويقتبس من فوائدها، حتى إن حبه لها أنساه كل بلد، وألهاه عن الأهل والولد [١٣٢].

وقد خرّجت مرو كثيرا من الأعيان والعلماء، وكان لواء الرياسة والصدارة في مرو معقودا لأسرة السمعاني، وهي أسرة علم وفضل، فقد برز من البيت السمعاني أكثر من أربعة عشر، ما بين عالم ومحدث وفقيه وأديب يشار إليهم بالبنان، قد شغلوا وظائف مهمة في القضاء والإفتاء والتدريس، والخطابة ومجالس الوعظ والإملاء، وما كان لهم من خزانة الكتب بمدينة مرو، والتدريس في المدرسة النظامية، وكذلك المدرسة العميدية، كما كانت لهم الخطابة بجامع مرو، وعقدوا فيه المجالس العلمية[١٣٣].

ومن أشهرهم: الإمام أبو منصور محمد بن عبد الجبار بن الفضل بن منصور السمعاني المروزي، المتوفي سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، كان إماما في النحو واللغة

---

(١٣٠) الصريفيني: منتخب السياق ص٢١٤.

(١٣١) معجم البلدان: ج٥ ص١١٤.

(١٣٢) ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص ١١٤، ١١٥. محمد محمود إدريس : السلطان سنجر، ص ١٣٩.

(١٣٣) منيرة ناجي سالم: تاج الإسلام أبو سعد السمعاني ص ٣٤، ٢٥.

العربية، صنف فيها التصانيف، وكان حنفيا ورعا ومن رؤساء الحنفية بمرو[١٣٤].

أما ولده منصور فكان أولا حنفيا، ثم تحول شافعيا بعد ثلاثين سنة، فصار أولاده وأحفاده كلهم شافعية، وكان أبو منصور هذا مفتي خراسان، قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو، وعهد إليه بمهمة التدريس بنظامية مرو[١٣٥] ويوصف بأنه أحد أئمة الدنيا، رفيع القدر، عظيم المحل، صنف في مختلف العلوم والفنون، ومن كتبه: "تفسير السمعاني"، و"المنهاج لأهل السنة"، و" الانتصار لأهل الحديث"، وهو جد أبو سعد السمعاني صاحب "الأنساب" [١٣٦]. ومنهم أيضا تاج الإسلام أبو بكر السمعاني، المتوفي سنة (٥١٠هـ/١١١٦م)، برع في الفقه، وتبحر في علم الحديث ومعرفة الأسانيد والرجال والجرح والتعديل، مع الإحاطة بالتواريخ والأنساب، خلف أباه في مجالس التدريس بنظامية مرو، وخلفه في الوعظ، وزاد عليه في الخطابة والقبول التام بين الخاص والعام، عظمه الملوك والأكبار، وقصر أيامه على الإفادة ونشر العلم، وصنف تصانيف في الحديث، وهو والد صاحب الأنساب [١٣٧]. وأشهرهم جميعا أبو سعد السمعاني المروزي صاحب "الأنساب"، المتوفي سنة (٥٦٢هـ/١١٦٦م) ، كان بيته من أرفع البيوت، وأعلمهما في بلاد الإسلام، وأقدمها في العلوم الشرعية والأمور الدينية، طاف بمراكز العلم في بلاد الإسلام عدة سنوات، ورحل إلى خراسان وأصفهان ونيسابور، والري وهمذان وما رواء النهر، والعراق والحجاز والشام، وطبرستان والجزيرة، وزار بيت المقدس وحج مرتين ثم رجع إلى وطنه [١٣٨].

ومن كتبه المشهورة : "الأنساب"، و"التحبير في المعجم الكبير"، و"تاريخ مرو"، و"ذيل تاريخ بغداد للخطيب" [١٣٩]، وانتهت إليه رياسة آل السمعاني. قال فيه ابن الأثير[١٤٠]: "وأما تاج الإسلام أبو سعد فإنه كان واسطة عقد بيت السمعاني، وعينهم الباصرة، ويدهم الناصرة، إليه انتهت رئاستهم، وبه كملت سيادتهم"، وقد درس بالمدرسة العميدية بمرو ودرّس بها، كما درّس بنظامية مرو، وصارت له شهرة

---

(١٣٤) الذهبي: العبر ج٣ ص٢٢٣.
(١٣٥) الصريفيني: منتخب السياق، ص٤٤٢، السبكي: طبقات الشافعية ج٤ ص ٢١.
(١٣٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٣ ص٢١٢، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣ ص٣٩٣.
(١٣٧) ابن الجوزي:المنتظم،ج٩، ص١٨٨،ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢ ص١٢.
(١٣٨) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٤ ٣١٦.
(١٣٩) الذهبي: تذكرة الحفاظ ج٤ ص٣١٦، اليافعي: مرآة الجنان ج٤ ص٣٧١.
(١٤٠) الكامل: ج٩ ص٩٨.

فائقة، وقصده الطلبة من سائر البلاد الإسلامية لتلقى العلم على يديه [١٤١].

وعلي بن محمد بن أرسلان بن محمد الكاتب، المتوفي سنة (٥٣٦هـ/ ١١٤١م)، كان مليح الخط فصيح العبارة، وله شعر وترسل وبلاغة في غاية الحسن، قيل عنه: "اجتمعت فيه أسباب المنادمة والكتابة وصحبة الملوك" [١٤٢]، وله مصنفات كثيرة منها : "تعلة المشتاق إلى ساكني العراق" ويذكر ياقوت الحموي[١٤٣]، نقلاً عن الزمخشري الخوارزمي، أنه قال: "أنشدني الكبير المنتخب أبو علي محمد بن أرسلان لنفسه بيتا لو وقع في شعر المتقدمين لسيرته الرواة، وخلدته الأئمة في كتبهم، وكم من أخوات له ضيعت بضياع الأدب، وقلة النقلة، واتضاع الهمم، وتراجع الأمور على أعقابها [١٤٤]. وأبو منصور المظفر بن أبي الحسين أردشير بن أبي منصور العبادي الواعظ المروزي المتوفي سنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م) له اليد الطولى في الوعظ، حسن العبارة حتى صار عين ذلك العصر، وشهد له الكل بالفضل وحيازة قصب السبق، قدم بغداد وأقام فيها ثلاث سنوات يعقد فيها مجالس الوعظ ولقي من الخلق قبولا تاما [١٤٥]. وأبو محمد الخرقي المتوفي سنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م) كان فقيها فاضلا، ثم اشتغل بالحساب وحصل منه طرفا صالحا وجاوزه إلى العلوم الفلسفية وغيرها، وجمع تاريخا لمرو ذكر فيه أحوال الأئمة والمحدثين والعلماء، وله مصنفات غير تاريخ مرو منها "فضائل الأوقات" و"منتهى الإدراك في تقاسيم الأفلاك" [١٤٦] وخرق قرية بين قرى مرو [١٤٧].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١-المدرسة النظامية:

أنشأ هذه المدرسة الوزير السلجوقي الكبير: نظام الملك الطوسي، ولعل تاريخ إنشائها يوافق تاريخ انتقال أبي المظفر السمعاني إلى المذهب الشافعي سنة

---

(١٤١) صلاح الدين علي عاشور: أبو سعد السمعاني وكتابه الأنساب، ص٢٧٢٥، ٢٧٢٦، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الثالث،العدد الثالث والعشرين، القاهرة ٢٠٠٥

(١٤٢) السمعاني: التحبير في المعجم الكبير ج١، ص٢٤١، تحقيق منيرة ناجي سالم، بغداد ١٩٧٥م.

(١٤٣) ياقوت: معجم البلدان، ج٢ ص٣٦٠.

(١٤٤) معجم الأدباء: ج٤ ص٣١٧.

(١٤٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٥ ص٢١٢،ابن الجوزي:المنتظم ج١٠ ص١٥٠، ١٥١.

(١٤٦) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج٥ ص١٥٧.

(١٤٧) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص٦٠.

(٤٦٨هـ/١٠٧٥م)، وربما يكون نظام الملك قد بنى هذه المدرسة باسم هذا العالم الجليل، فيذكر المؤرخون أن هذا الوزير قد رفع من قدره وقدمه على أقرانه، وعقدت له مجالس الوعظ والتدريس بنظامية مرو، وكانت وفاته سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٥م)[١٤٨].

وقد درس في هذه المدرسة أغلب الأسرة السمعانية، ومن أشهر مدرسيها: أبو المجد الرازي من أهل الري، فقيه فاضل نزل مرو في المدرسة النظامية عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م)، وتولى مهمة التدريس بها [١٤٩]. وأبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني المتوفي سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م) وهو العم الأصغر لأبي سعد السمعاني [١٥٠]ثم درس بها الإمام أبو سعد السمعاني صاحب الأنساب، المتوفي سنة (٥٦٢هـ/ ١١٦٦م). ويكفى للدلالة على المنزلة العلمية الرفيعة التى بلغها هذا البيت: أن الوزير نظام الملك الطوسى بنى "المدرسة النظامية" بمرو لأبى المظفر السمعانى جد أبى سعد، وذلك بعد انتقال أبى المظفر جد أبى سعد إلى المذهب الشافعى سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٥م)، فرفع نظام الملك من مقامه، وقدمه على أقرانه، وعقد له مجلس التذكير والتدريس في مدرسة أصحاب الشافعى بمرو[١٥١]. وقد درس بها أيضاً أبو بكر السمعانى والد أبى سعد، وكذلك درس بها أبو القاسم عم أبى سعد، ثم درس بها أبو سعد نفسه[١٥٢]. وعندما بنى عميد خراسان محمد بن منصور النسوى، المتوفى سنة (٤٩٤هـ/١١٠٠م)،المدرسة العميدية بمرو،أوقفها على أبى بكر السمعانى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١٤٨) الصريفيني: منتخب السياق ص٤٤٢.

(١٤٩) ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ص ٦٢.

(١٥٠) ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ٨٦.

(١٥١) كانت خراسان في منتصف القرن الخامس الهجرى قد تنازعت فيها قوتان مهمتان هما الحنفية والشافعية، إلا أن شوكة الشافعية بخراسان عامة كانت قد قويت بسبب اهتمام وزراء السلاجقة الشافعية بالناحية العلمية، وكان على رأسهم الوزير السلجوقى نظام الملك الطوسى، فبنى عدة مدارس عرفت بالنظاميات في جميع أنحاء المشرق الإسلامى في نيسابور وهراة وبلخ ومرو، وكان نظام الملك قد جعل في هذه المدارس وقفاً على المذهب الشافعى، فكان من غير المستبعد أن يتطلع أبو المظفر السمعانى (جد أبو سعد) للتدريس في نظاميه مرو لما كان له من مكانة عالية بين الفقهاء، الأمر الذى أدى إلى حدوث اضطرابات شديدة في مدينة مرو، حتى كادت الحرب تقع بين أصحاب أبى حنيفة والشافعى، ومنذ ذلك الحين صار أولاده وأحفاده كلهم شافعية. ابن خلكان : وفيات الأعيان ح٣ ص٢١١.

(١٥٢) الصريفينى : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ٤٤٢، ٤٤٣، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز ، دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٩٨٩ م.

وأولاده[١٥٣]، حتى قال ابن الجوزى المتوفى سنة (٥٩٧هـ /١٢٠١م): فهم فيها إلى الآن [١٥٤]. وقد برز من هذا البيت مجموعة كبيرة من العلماء ما بين عالم ومحدث وفقيه وأديب يشار إليهم بالبنان، شغلوا وظائف مهمة فى القضاء والإفتاء والتدريس والتحديث والخطابة ومجالس الإملاء والوعظ والتذكير. وكانت لهم خزائن الكتب بمدينة "مرو"وكذلك فى المدرسة العميدية الخاصة بالبيت السمعانى.

والواقع أن البيت السمعانى كان بيت نعمة ويسار فكان لهم عدد من الضياع فى مرو وسرخس[١٥٥]، إضافة إلى ما كان لهم من عبيد وخدم وجوار ومؤدبين ومربيين لأولادهم، كما أن معظم أعيان البيت السمعانى قاموا برحلات كبيرة فى سبيل تحصيل العلم، يوم كانت الرحلة قطعة من العذاب، فضلا عن التكلفة الكبيرة من النفقات، إضافة إلى ما اقتنوه من كتب ومجلدات أثناء رحلاتهم، فتركوا دوياً هائلا فى دنيا البحث والدراسة. وأكبر دليل على المنزلة العلمية الرفيعة التى بلغها هذا البيت: ما كان لهم من خزائن الكتب،(المكتبات) بمدينة مرو، إذ كان لهم فيها ثلاث خزائن للكتب قال عنها ياقوت الحموى عند زيارته لهذه المدينة : " إنها كانت سهلة التناول لا يفارق منها منزلى مئتا مجلد وأكثرها بغير رهن... فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها، وأنسانى حبها كل بلد، وألهانى عن الأهل والولد، وأكثر فوائد هذا الكتاب – يقصد معجم البلدان – وغيره مما جمعته، فهو من تملك الخزائن " [١٥٦]. وكانت مساجد مدينة مرو، لاسيما في العصر السلجوقي، من أكبر وأهم المؤسسات العلمية، فعلى الرغم من كون الهدف الرئيس من إنشاء هذه المساجد هوجعلها أماكن للعبادة، إلا أنها قامت بدور مهم في نشر الثقافة والمعرفة، والوعي الديني، فقد ضمت حلقات لتدريس مختلف أنواع العلوم النظرية، والعقلية، حتى صارت أشبه بجامعات يدرس فيها مختلف أنواع التخصصات، وكان يتولى التدريس فيها مشاهير العلماء الذين استقدمهم السلاطين، والأمراء والوزراء للقيام بهذا العمل [١٥٧].

---

(١٥٣) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ص ص٨٤، ٨٥ ترجمة د. أحمد كمال الدين حلمى جامعة الكويت ١٩٨٤ م. صلاح الدين عاشور: أبو سعد السمعاني، ص ٢٧٢٦.

(١٥٤) ابن الجوزى : المنتظم ح٩ ص ١٢٨.

(١٥٥) سرخس : مدينة كبيرة من أشهر مدن خراسان، تقع في وسط الطريق بين نيسابور، ومرو. ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٨

(١٥٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان ح٥ ص ١١٤.

(١٥٧) يحيي بن حمزة الوزنة : مدينة مرو والسلاجقة حتى عصر سنجر، ص ١٣٥، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط١ القاهرة ٢٠٠٧ م.

٢-المدرسة العميدية:

أنشأ هذه المدرسة عميد خراسان:محمد بن منصور المستوفي، المتوفي سنة (٤٩٤هـ/١١٠٠م)، ووقف فيها كتبا نفيسة ووقفها على أبي بكر بن أبي المظفر السمعاني وأولاده[١٥٨]، ويذكرابن الجوزي، المتوفي سنة (٥٩٧هـ/١٢٠١م) أنهم فيها إلى الآن[١٥٩].

وقد أشار إليها ياقوت الحموي عند زيارته لها سنة (٦١٦هـ/١٢٢٠م)، وذكر أن إحدى خزائن كتب البيت السمعاني كانت موجودة بهذه المدرسة [١٦٠] ومعنى ذلك أن هذه المدرسة ظلت تؤدي دورها العلمي والتعليمي حتى ذلك الوقت.

ثالثا:الحركة المدرسية بمدينة هراة في العصر السلجوقي:

كانت مدينة هراة من أمهات مدن خراسان، يقول عنها القزويني[١٦١] : "ما كان بخراسان مدينة أجمل، ولا أعمر، ولا أحصن، ولا أكثر خيرا منها،" بينما يقول عنها ياقوت الحموي[١٦٢] :"لم أر بخراسان عند كوني بها أجل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها".

وكانت مدينة هراة من المدن التي اهتم السلاجقة بنشر الثقافة فيها، فقد أسس بها الوزير "نظام الملك" إحدى نظامياته، واستدعى لها العالم الجليل" أبا بكر الشاشي" للتدريس بها، والقيام على شؤونها، فأصبحت منارة للعلم والمعرفة [١٦٣]. ومن مشاهير علماء هراة : أبو المظفر الإسفزاري، المتوفى سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) وهو من الذين اشتغلوا مع الخيام بالعلوم الرياضية، وأحد عظماء المنجمين الذين كلفهم ملكشاه بعمل "التقويم الجلالي"، المعروف بالرصد الملكشاهي[١٦٤]. والشيخ عبد الله الأنصاري الهروي المتوفي سنة (٤٨١هـ/١٠٨٨م)، من مشاهير الصوفية في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، ومن الذين أجادوا اللغتين الفارسية والعربية وألف بهما، وقال الشعر العربي والفارسي، وفرق في أشعاره بين الشعر الصوفي والشعر التعليمي، وكان يلقب بشيخ الإسلام، وتنسب إليه مجموعة من الرباعيات تتضمن أفكارا دينية وصوفية، غير أن شهرته ترجع في المقام الأول إلى

---

(١٥٨) الذهبي: تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٣١٦، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٥ ص٣٧٨.
(١٥٩) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص١٢٨.
(١٦٠) ياقوت: معجم البلدان: ج٥ ص١١٤.
(١٦١) آثار البلاد: ص٤٨١.
(١٦٢) معجم البلدان: ج٥ ص٣٩٦.
(١٦٣) السبكي: طبقات الشافعية ج٣ ص٧٩، ٨٠.
(١٦٤) البيهقي: تاريخ الحكماء، ص١٢٥، العروضي السمرقندي: جهار مقالة، ص١٦٠.

مؤلفاته النثرية العديدة الفارسية والعربية، فمن مؤلفاته الفارسية :"رسالة أسرار"، و"كنز السالكين"، أما تصانيفه العربية فمنها: كتاب "ذم الكلام"، وكتاب "منازل السائرين" (١٦٥).

ومن مشاهير علماء هراة أيضا: عبد الرحمن بن عثمان بن منصور المعدل الهروي، المتوفي سنة (٥٤٦هـ/١١٥١م)، وكان حافظا أديبا يلقب ثقة الدين، وقيل عنه: "حافظ فاضل مقدم المحدثين بهراه له معرفة بالحديث والأدب" (١٦٦).

نظامية هراة:

أنشأها الوزير نظام الملك، وعهد بالتدريس فيها إلى محمد بن علي بن حامد الإمام أبو بكر الشاشي المتوفى سنة (٤٨٥هـ/١١٥٣م) فقيه عصره بقى مدة بهراة يدرس في المدرسة المنسوبة إلى نظام الملك (١٦٧) وقد ذكر ابن الجوزي نظامية هراة في حوادث سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) عندما وقعت الفتنة بهراة بين الشيخ عبد الله الأنصاري المتوفي سنة (٤٨١هـ/١٠٨٨م) وكان حنبلي المذهب، وأحد الشافعيين فهجم الحنابلة على المدرسة النظامية، فبعث نظام الملك من قبض على الشيخ عبد الله الأنصاري وأبعده عن هراة حتى خبت الفتنة، ثم أعاده إلى هراة مرة أخرى (١٦٨). ومن أشهر الذين تولوا مهنة التدريس بها الشيخ محمد بن يحيى المتوفي سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) وكان يدرس بنظامية نيسابور، ثم درس بمدينة هراة في المدرسة النظامية، وحضر دروسه فضلاء عصره في مدينة هراة (١٦٩).

رابعا: الحركة المدرسية بمدينة بلخ في العصر السلجوقي:

من أجل مدن خراسان وأكثرها خيراً(١٧٠)، يقول عنها ابن حوقل (١٧١) :"مدينة قديمة أزلية، تجمع جميع التجارات، وتقصد بالأمتعة من سائر الجهات، وفي أهلها علم، ويغلب عليهم الأدب ودقة النظر في الفقه والعلوم الغامضة، وقد خرجت غير رئيس، وعرف من أهلها غير نفس".

وقد عنى السلاجقة بهذه المدينة وعمروها، وأقاموا فيها المساجد والمدارس

---

(١٦٥) نظام الملك: سياست نامه ص١٧٥. السيوطي: طبقات المفسرين ص٥٧.
(١٦٦) السبكي: طبقات الشافعية، ج٤ ص٢٤٥، ٢٤٦.
(١٦٧) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية ج١ ص٢٧٠،السبكي: طبقات الشافعيةج٣ص٧٩
(١٦٨) ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص١٥، ١٦.
(١٦٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٤ ص٢٢٣.
(١٧٠) القزويني: آثار البلاد ص٣٣١.
(١٧١) صورة الأرض: ص ٣٧٤.

والربط، وأسس فيها الوزير نظام الملك مدرسة لأصحاب الشافعي، هي المدرسة النظامية [١٧٢].

وفوض أمر التدريس بها لعبد الله بن طاهر بن محمد بن شهفور، المتوفى سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، وكان إماما في الفروع والخلاف والأصول، وله الجاه والمال الكثير والمنزلة الرفيعة، حتى إنه لما قدم بلخ استقبله أهل البلد بحفاوة بالغة [١٧٣].

وعمر بن أحمد بن الليثي الطالقانى البلخي المتوفى سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م) الفقيه الشافعي، كان من أفضل الناس في عصره في علم اللغة والأدب، هذا إلى جانب إجادته الفقه وعلم التفسير والحديث مما جعله من أكابر علماء عصره، وبلغ من قدره وعلمه أنه كان أمر بالتدريس بنظامية بلخ، وظل يدرس بها إلى حين وفاته [١٧٤].ويعد القاضي ظهير الدين أبو بكر البلخي من الكتاب الذين تفوقوا في الكتابة الأدبية باللغة الفارسية في العصر السلجوقي، ويتجلى ذلك من خلال مقاماته التي كتبها في سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م)، والمسماة "مقامات حميدي"، فهي خير مثال للصورة الأدبية النثرية الفارسية، وهو تقليد فارسي للمقامات العربية التي وضعها "بديع الزمان الهمذاني" و"الحريري". وعلى الرغم من أنها لا تصل إلى مستوى المقامات العربية، من حيث الموضوع وسبك العبارة، إلا أنها تعد من الكتابات النثرية الجيدة [١٧٥]. وينسب إلى هذه المدينة الجليلة جماعة من أهل العلم، على رأسهم محمد بن عبد الجليل الملقب برشيد الدين الوطواط المتوفي سنة (٥٧٣هـ/١١٧٧م) الأديب الكاتب الشاعر، كان من نوادر الزمان وعجائبه، وأفراد الدهر وغرائبه، أفضل زمانه في النظم والنثر، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب، وأسرار النحو والأدب، طار في الآفاق صيته، وسار في الأقاليم ذكره، وبلغ به الإتقان أنه كان ينشئ في حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا بالفارسة من بحر آخر ويمليهما معا، وله من التصانيف "حدائق السحر في دقائق الشعر" باللغة الفارسية، وللوطواط أيضا ديوان شعر، وديوان رسائل عربي، وديوان رسائل فارسي، وغير ذلك كثير [١٧٦].

([١٧٢]) السبكي: طبقات الشافعية ج٣ ص١٣٥.

([١٧٣]) ياقوت: معجم الأدباء، ج٥ ص٤٣٠، السيوطي: بغية الوعاة ج١ ص٢٢٦.

([١٧٤]) السبكي: طبقات الشافعية ج٤ ص٢٨٥.

([١٧٥]) بروان: تاريخ الأدب، في إيران، ص٤٤١، محمود إدريس، السلطان سنجر السلجوقي ص١٢٧.

([١٧٦]) ياقوت: معجم الأدباء، ج٥ ص٤٣٠، السيوطي: بغية الوعاة ج١ ص٢٢٦.

نظامية بلخ:

أنشأها الوزير نظام الملك، ووكل مهنة التدريس فيها للشيخ عبد الله بن طاهر الإسفراييني، المتوفى سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، وكان لعبد الله ابن يقال له "أبو المحاسن" ثقة فاضلا مناظرا، تولى أمر التدريس بعده [١٧٧]. ومن الذين تولوا مهنة التدريس بها عبد الله بن الحسين البلخي، المعروف بابن الظريف، المتوفى في نفس العام، وكان إماما كبيرا في الفقه والأصول ذا علوم متعددة [١٧٨] وأبو حفص عمر بن أحمد بن الليث الطالقاني البلخي المتوفي سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م)، كان من أكابر العلماء[١٧٩].

وبعد، فهذا موضوع البحث، وهذه رؤيتي، حاولت فيها قدر جهدي الاقتراب من الصواب، فإن وفقت فهذا ما كنت أبغي، وإن جانبني الصواب فحسبي أنني اجتهدت، والله من وراء القصد، وهو يهدي إلي سواء السبيل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

([١٧٧]) ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ص٧٠.
([١٧٨]) السبكي: طبقات الشافعية ج٣ ص٢٠٤.
([١٧٩]) السابق: طبقات الشافعية ج٤ ص٢٨٥.

المصادر والمراجع

أولا ـ المصـــــادر :

* ابن الأثير (ت ــ٦٣٠هـ) على بن أبي الكرم.

١- الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية ط٣، بيروت، ١٩٨٨م.

* البنداري (ت ــ٥٩٧ هـ) الفتح بن علي البنداري الأصفهاني

٢ــ تاريخ دولة آل سلجوق (اختصار الفتح بن على البندري) دار الآفاق الجديـدة ط ٣ بيروت ١٩٨٠م

* البيهقي (ت ــ٤٧٠هـ) أبو الفضل محمد بن حسين.

٣ ــ تاريخ البيهقي، ترجمه إلي العربية د/ يحيي الخشاب، وصادق نـشأت، مكتبـة الأنجلو المصرية القهرة ١٩٥٦ م.

* الثعالبي (٤٢٩هـ) أبو منصور بن عبد الملك بن محمد النيسابوري.

٤ ــ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر تحقيق د. مفيد محمد متميـة، دار الكتـب العلمية ط١ بيروت ١٩٨٣.

* ابن الجوزي : (ت ــ ٥٩٧هـ) جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي

٥ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعـارف العثمانيـة، ط١ حيـدر أبـاد ١٣٥٩هـ.

*الحسيني (ت ــ ٦٢٢هـ) صدر الدين علي بن ناصر

٦ــ زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك الـسلجوقية،تحقيق: د/ محمـد نـور الدين. دار اقرأ. بيروت. ١٩٨٢م.

* ابن حوقل (ت ــ٣٦٧ هـ) أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي

٧ ــ صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت،١٩٧٩ م.

* ابن خاوند شاه. (ت ــ٩٠٣ هـ) محمد بن خاوند شاه بن محمود.

٨- روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، ترجمة د. أحمد عبـد القـادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب ط١ القاهرة، ١٩٨٨م.

* ابن خلدون (ت ــ٨٠٨هـ) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون.

٩ــ العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٠م.

* ابن خلكان (ت ــ٦٨١هـ) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

*خواندمير(ت ــ٩٤٢هـ) غياث الدين خواندمير

١١ــ دستور الوزراء، ترجمة : د/ حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠ م

*الذهبى (٧٤٨هـ) أبو عبدالله شمس الدين بن محمد الذهبى

١٢ــ تذكرة الحفاظ. دار الكتب العلمية بيروت ١٣٧٤هـ.

١٣ــ سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت ١٩٨٤.

* الراوندي (من علماء القرن السادس الهجري) محمد بن علي بن سليمان

١٤ــ راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة د / إبراهيم أمين الشورابي وزميلاه، دار القلم ــ القاهرة ١٩٦٠ م.

*ابن الساعي (ت ــ٦٧٤هـ) علي بن أنجب

١٥ ــ تاريخ الخلفاء العباسيين، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٩٣م.

*السبكى (٧٧١هـ) تاج الدين بن تقى الدين السبكى

١٦ ــ طبقات الشافعية الكبرى دار المعرفة ط٢ بيروت (د. ت).

*السمعاني (ت ــ٥٦٢هـ)أبو سعد بن محمد بن منصور.

١٧ ــ الأنساب، وضع حواشيه : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١ بيروت ١٩٩٨.

١٨ ــ التحبير في المعجم الكبير، تحقيق : منيرة ناجي سالم، بغداد ١٩٧٥ م.

*السيوطى (٩١١هـ) جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر

١٩ ــ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٤م.

*الشهرستاني(ت ــ ٥٤٨هـ) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم

٢٠ ــ الملل والنحل. مؤسسة ناصر للثقافة. ط١. بيروت. ١٩٨١م.

*الصريفينى (٦٢٢هـ) إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفينى

٢١ــ المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٩٨٩م

* ابن العبري (ت ــ٩٨٥هـ) غريغرويوس أبوالفرج بن هارون.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٢ - تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية ط١ ، القاهرة، ٢٠٠١م.

*ابن عساكر (٥٧١هـ)أبو القاسم علي بن الحسين.

٢٣ــ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، مطبعة التوفيق، دمشق ١٣٤٧هـ.

*العماد الأصفهاني (ت ــ٥٩٧هـ) عماد الدين محمد بن حمد الكاتب.

٢٤ ــ تاريخ دولة آل سلجوق (اختصار الفتح بن علي البنداري). دار الآفاق الجديدة. ط٣. بيروت ١٩٨٠م.

*ابن قاضى شهبة (٨٥١هـ) أبو بكر أحمد بن محمد.

٢٥ ــ طبقات الشافعية تحقيق د/ عبد العليم خان، عالم الكتب ط١ بيروت ١٩٨٧م.

* القزويني (ت ــ٦٨١هـ) زكريا بن محمد بن محمود.

٢٦ــ آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.

* ابن كثير(ت ــ ٧٧٤هـ) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر.

٢٧ -البداية والنهاية في التاريخ، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٣٢م.

*الكرديزي (ت ــ٤٢٢هـ)أبو سعيد عبد الحي الضحاك

٢٨ــ زين الأخبار،ترجمة: د/عفاف السيد زيدان،دارا لطباعة المحمدية،القاهرة١٩٨٢م

* أبو المحاسن (ت ــ٨٧٤هـ) جمال الدين يوسف بن تغرى بردي الأتابكي.

٢٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٣٥م.

* المقدسي(ت ــ ٣٨٧هـ) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر.

٣٠- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

* ناصر خسرو (ت ــ٤٨١هـ) ناصر خسرو علوي

٣١ــ سفرنامة:، ترجمة : د/ يحيي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

* النويري (ت ــ٧٣٣ هـ) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

٣٢ ــ نهاية الأرب في فنون الأدب دارا لكتب المصرية القاهرة ٢٠٠٧.

* ياقوت الحموي (ت ــ٦٢٦هـ) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي.

٣٣ ــ معجم الأدباء أو "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، دار الكتب العلمية، ط١ بيروت، ١٩٩١م.

٣٤ ــ معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

ثانيا ـ المراجـــع :

* أحمد السعيد سليمان (دكتور)

١ تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، دار المعارف القاهرة ١٩٦٩ م.

*أحمد كمال الدين حلمي(دكتور)

٢ــ السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحوث العلمية. ط١، الكويت، ١٩٧٥.

*أدورد براون.

٣ــ تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي، ترجمة د/ إبراهيم أمين الشواربي. مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٤م.

*بارتولد.

٤ــ تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ص ٢، ٣. ترجمة أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.

* بدر عبد الرحمن محمد (دكتور)

٥- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري حتى ظهور السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية ط١، القاهرة، ١٩٨٩م.

* تامارا رايس (دكتور)

٦ ــ السلاجقة تاريخهم وحضارتهم،ترجمة لطفي الخورى،مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٨م.

*حسن إبراهيم حسن (دكتور)

٧ــ تاريخ الإسلام السياسي،دار الجيل، ط ٨ بيروت ١٩٩٦م.

*حسن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف (دكتور)

٨ــ العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط ٣، القاهرة ١٩٧٧م.

* حسن سلهب (دكتور)

٩ــ تاريخ العراق في العهد البويهي (دارسة في الحياة الفكرية ٣٣٤ــ٤٤٧هـ/ ٩٤٥ــ١٠٥٥م) دار المحجة البيضاء، ط١ بيروت ٢٠٠٨ م.

* حسين أمين(دكتور)

١٠ــ تاريخ العراق في العصر السلجوقي،مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٥م.

* خليل السامرائي(دكتور) وزميلاه د/طارق فتحي سلطان د/ جزيل عبدالجبارالجومرد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١١ــ تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي(١٣٢ ــ ٦٥٦ هـ / ٧٤٩ ــ ١٢٥٨ م) طبع جامعة الموصل ١٩٨٨ م

* شوقي ضيف (دكتور)

١٢- تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات الجزيرة العربية، العراق، إيران)، دار المعارف ط٢، القاهرة، ١٩٨٣م.

*فتحي أبو سيف (دكتور)

١٣ــ خراسان تاريخها السياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين، مكتبة سعيد رأفت،ط١، ١٩٨٨ م.

* عباس إقبال .

١٤ ــ تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجاوية، ترجمة د / محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٩ م .

*عبد المجيد أبو الفتوح بدوي (دكتور)

١٥ ــ التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، دار الوفاء للطباعة والنشر. ط٢ المنصورة. ١٩٨٨م.

* عبد النعيم محمد حسنين (دكتور)

١٦ ــ سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية. ط١. القاهرة ١٩٥٩م.

*عصام عبد الرؤوف الفقي (دكتور)

١٧ ــ الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٧ م.

* علي محمد الصلابي (دكتور)

١٨ــ دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة ٢٠٠٦م .

* كلود كاهن :

١٩ــ تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، نقله إلي العربية : د/ بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، ط ٣ بيروت ١٩٨٣ م.

* كي لسترانج

٢٠ ــ بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة ط٢ بيروت ١٩٨٥م

*محمد سعد السيد أحمد عزب (دكتور)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢١ــ الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي (٤٢٩ــ٥٥٨هـ/ ١٠٣٧ــ١١٦٢م) شركة نوابغ الفكر، ط١ القاهرة ٢٠٠٩ م.

*محمد عبد العظيم أبو النصر (دكتور)

٢٢ــ السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م.

*محمد محمود إدريس (دكتور)

٢٣ــ سلطان السلاجقة الأعظم السلطان سنجر السلجوقي (سياسته الداخلية وأهم مظاهر الحضارة في عصره) المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة ١٩٨٨ م.

*محمود عرفة محمود (دكتور)

٢٤ــالدول الإسلامية المستقلة في الشرق وعلاقاتها بالخلافة العباسية، دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٨م.

*يحيى بن حمزة الوزنة (دكتور)

٢٥ــ مدينة مرو والسلاجقة حتى عصر سنجر، مكتبة الثقافة الإسلامية ط١ القاهرة ٢٠٠٧م.

ثالثا ـ الرسائل الجامعية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

*صلاح الدين علي عاشور

١ــ الحياة العلمية في العراق والمشرق الإسلامي إبان العصر السلجوقي (٤٤٧ــ٥٩٠هـ/١٠٥٥ــ١١٩٣م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٩٦م .

رابعا ـ الدوريات :

*صلاح الدين علي عاشور (دكتور)

١ ــ أبو سعد السمعاني وكتابه الأنساب، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الثالث، العدد الثالث والعشرين، القاهرة ٢٠٠٥ م .

*ناجي معروف (دكتور)

٢ــ مدارس قبل النظامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني والعشرين ١٩٧٣م.

*يحيى الخشاب(دكتور)

٣ــ نظام الملك والمدارس النظامية، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس ١٩٧٥م.